دورالقواعد الصوتية في تعليم التجويد للناطقين بغيرالعربية

إعداد

د. محمد فتحي السيد قنطوش
دكتوراه في اللغة العربية – جامعة الأزهر
و مدير إدارة التدريب التربوي– الأزهر الشريف

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الحادى والستون - يوليو - الجزء الأول- لسنة 2023

دورالقواعد الصوتية
في تعليم التجويد للناطقين بغيرالعربية

ملخص البحث

إن موضوع هذا البحث هو(دورالقواعد الصوتية في تعليم التجويد للناطقين بغير العربية) يدل على أن أصوات اللغة العربية قد حظيت بجهود كبيرة من أجل المحافظة على نطقها بريئا من شوائب اللحن، نقيا من مظاهر اللكنة، وارتبطت تلك الجهود ببزوغ شمس الإسلام في بلاد العرب، وكان ظهور القرآن الكريم سببا في نشأة علوم جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل، منها علوم اللغة التي اتسمت بالشمول لكل جوانب الدرس اللغوي المعروفة: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم.

ويعود اختيار هذا الموضوع استخدام القواعد الصوتية لتعليم التجويد للأجانب إلى أهمية إبرازجهود علماء العربية مثل الخليل وسيبويه وابن جني في دراسة الأصوات اللغوية يشار اليها دائما في عصرنا على أنها من الانجازات المتميزة في الدرس اللغوي، وقامت حولها دراسات ليست قليلة.

وقد انتهيت من ذلك التتبع الى نتيجة تتلخص في أن كتب علم التجويد المتداولة في أيدي الناس في زماننا معظمها من الكتب المتأخرة أو الحديثة التأليف، التي يغلب عليها إيجاز العبارة غالبا وغموضها أحيانا، مما لا يشجع المشتغلين بعلم الأصوات على دراستها والاستفادة منها.

وبعد أن انتهيت إلى تلك النتيجة طمحت نفسي إلى معرفة كتب علم التجويد والأصوات ، وقد أخذ ذلك مني مجهودا كبيرا من البحث والتتبع في فهارس الكتب ، حتى وقفت على الكثير من هذه الكتب، وقد فتحت لي هذه الخطوة المزيد من جوانب الفكروالثقافة وذلك من خلال البحث في تاريخ علم التجويد وعلم اللغة والأصوات لدى القدامى والمعاصرين.

الكلمات المفتاحية:

القواعد الصوتية، التجويد، المعاني، القرآن.

The role of phonetic rules in teaching intonation to non-Arabic speakers

Mohamed Fathi El-Sayed Kantoush
Director of the Educational Training Department - Al-Azhar Al-Sharif
Email: d.kantosh@yahoo.com

The subject of this research is (the role of phonetic rules in teaching intonation to non-Arabic speakers) which indicates that the sounds of the Arabic language have received great efforts in order to preserve their pronunciation innocent of melody impurities, pure from the manifestations of accent, and these efforts were linked to the emergence of the sun of Islam in the Arab countries. The appearance of the Holy Qur'an was a reason for the emergence of new sciences that the Arabs had not known about before, including the linguistic sciences, which were characterized by their inclusion of all known aspects of the linguistic lesson: sounds, morphology, grammar, and the lexicon.

I have concluded this follow-up to the conclusion that the books on the science of Tajweed circulating in the hands of people in our time are mostly late or recently written books, in which the phrases are often brief and sometimes ambiguous, which does not encourage those working in phonetics to study them and benefit from them.

After I achieved that result, I aspired to learn books on the science of intonation and sounds. This took me a great deal of research and tracking in book indexes, until I came across many of these books. This step opened up to me more aspects of thought and culture through research in... The history of intonation, linguistics, and sounds among ancient and contemporary scholars.

Keywords:
phonetic rules, intonation, meanings, the Qur'an.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن موضوع هذا البحث هو(دورالقواعد الصوتية في تعليم التجويد للناطقين بغيرالعربية) يدل على أن أصوات اللغة العربية قد حظيت بجهود كبيرة من أجل المحافظة على نطقها بريئا من شوائب اللحن، نقيا من مظاهر اللكنة، وارتبطت تلك الجهود ببزوغ شمس الإسلام في بلاد العرب، وكان ظهور القرآن الكريم سببا في نشأة علوم جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل، منها علوم اللغة التي اتسمت بالشمول لكل جوانب الدرس اللغوي المعروفة: الأصوات، والصرف، والنحو، والتجويد.

ويعود اختيار هذا الموضوع استخدام القواعد الصوتية لتعليم التجويد للأجانب إلى أنني أردت المساهمة في تحقيق فكرة المؤتمر وغايته وعنوانه الأصيل (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم بين الواقع والمأمول رؤى متجددة) وكذلك أهمية إبرازجهود علماء العربية مثل الخليل وسيبويه وابن جني في دراسة الأصوات اللغوية يشار اليها دائما في عصرنا على أنها من الانجازات المتميزة في الدرس اللغوي، وقامت حولها دراسات ليست قليلة، ولكن أحدا من المشتغلين بدراسة الأصوات العربية من المحدثين لم يلتفت الى كتب علم التجويد التي تتضمن دراسة للأصوات اللغوية لا تقل أهميتها عن جهود علماء العربية، فلم يستخدم أحد منهم تلك الكتب، فظلت مهملة وظلت مادتها مجهولة، مما حرم الدرس الصوتي العربي من مصدر غني وأصيل.

وكانت هذه القضية، وأعني بها إهمال دارسي الأصوات العربية المحدثين لكتب علم التجويد وعدم الاستفادة منها في أبحاثهم، قد لفت نظري منذ عقدت النية على كتابة البحث، وصرت أتتبع كتب علم التجويد المطبوعة، وأجمع منها ما تقع عليه يدي. وقد انتهيت من ذلك البحث والاستقصاء الى نتيجة تتلخص في أن كتب علم التجويد المتداولة في أيدي الناس في زماننا معظمها من الكتب المتأخرة أو الحديثة التأليف، التي يغلب عليها الإيجاز والغموض أحيانا، مما لا يشجع المشتغلين بعلم الأصوات على دراستها والاستفادة منها. وكذلك أردت إبراز أهمية ربط تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأصيل لها في ألفاظها ومعانيها ودلالاتها فبلغت بذلك مبلغا لم تنله سائر اللغات .كما أنه لا يمكن لأحد أن يفهم الخطاب القرآني باعتباره المصدر الأول للتشريع في الإسلام بالشكل المراد إلا إذا كان على علم باللغة العربية وعلومها المتعددة .

وبعد أن انتهيت إلى تلك النتيجة طمحت نفسي إلى معرفة كتب علم التجويد

والأصوات، وقد أخذ ذلك مني مجهودا كبيرا من البحث والمراجعة في فهارس الكتب، حتى وقفت على الكثيرمن أسماء تلك الكتب، وقد فتحت لي هذه الخطوة عدة جوانب للبحث تتراوح بين البحث في تاريخ علم اللغة والتجويد والتعريف بكتبه، والعمل على استنباط ما في هذه الكتب من كنوزوأسرار. وحاولت أن أقدم خلاصة ذلك البحث والاستقصاء إلى المهتمين بعلم التجويد والمشتغلين بدراسة الأصوات العربية واللهجات. ولم يتوقف اهتمامي بكتب علم التجويد وعلم اللغة والأصوات عند هذا الحد، فكان يشغلني التفكير بالقيام بعمل كبير هو تقديم بحث عن الدراسات والقواعد الصوتية المتطورة لتعليم التجويد للأجانب، ولكن كانت تحول دون القيام بهذا العمل عقبات تتمثل في حاجته إلى الوقت الطويل والتفرغ التام وارتباطي الوظيفي مشقة أخرى، وتتمثل كذلك في صعوبة الحصول على مصادرعلم اللغة والأصوات والتجويد في المكتبات المتنوعة.

وقد أفدت من هذه الدراسات جميعا خصوصا فيما يتصل بموضوع البحث . وقد وفقني الله – تعالى – إلى إنجازه بفضل منه ومنة .

وقد انتهيت فيه إلى مخطط إجمالي من مقدمة وفصلين

أما الفصل الأول : عنوانه مصادر القواعد الصوتية عند علماء التجويد تاريخ وتطور . وذلك من خلال مبحثين :

المبحث الأول : عنوانه بداية التجويد.

المبحث الثاني : القواعد الصوتية والتجويد.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان منهج علماء التجويد في دراسة القواعد الصوتية المتطورة.

وذلك من خلال مبحثين:

المبحث الأول : عنوانه علاقة علم التجويد بعلم اللغة والأصوات .

المبحث الثاني : تعليم القرآن والتجويد والأجانب وفق الدراسات الحديثة.

ثم ختمت البحث بإبراز ما استشرفت في المعالجة لموضوعه من غاية، وما انتهت بي الخبرة له من نتيجة واقتراح.

واتبعت في كتابة هذا البحث خطة تستند على ركيزتين:

الأولى: العناية بالنصوص المقتبسة من كتب علم التجويد؛ وذلك لأن هذه النصوص هي المادة التي ينبني عليها البحث، وقد حرصت على إيراد كل نص تضمن فكرة جديدة أو إضافة قيمة في دراسة القواعد الصوتية؛ وذلك لأن الكتب التي أخذت منها هذه النصوص لا يصل إليها الباحثون بسهولة، فكنت أرجو بعملي هذا أن أضع بين أيدي المشتغلين بعلم

الأصوات والقواعد الصوتية المتطورة لتعليم الوافدين والأجانب التجويد تلك النصوص النادرة عسى أن تكون دليلا لهم إلى كتب علم التجويد، فينشطوا لدراستها وتيسيرها.

الثانية: الموازنة بين المادة الصوتية المقتبسة من كتب علم التجويد والمادة الصوتية لدى علماء العربية كالخليل وسيبويه وابن جني؛ وذلك لأن دراسات هؤلاء العلماء تشكل الأساس الذي قامت عليه الدراسة الصوتية عند علماء التجويد. ومن خلال تلك الموازنة يمكن معرفة مقدار ما أضافه علماء التجويد الى الدرس الصوتي العربي. وكنت أضع بجانب ذلك كله نتائج استخدام القواعد الصوتية المتطورة والحديثة؛ لكي نتبين المنزلة التي يجب أن نضع فيها جهود علماء التجويد في دراسة الأصوات: علماء العربية، وعلماء التجويد، وعلماء الأصوات المحدثون، لا ينبغي الفصل بينها في أي دراسة عن الأصوات العربية يراد لها أن تكون مفيدة؛ إذ لا يستغني دارس العربية للناطقين بغيرها عن مرجع يفسر به إبهاما يعتريه وهو يتعامل معها في مضمون الجمل أو ضبطها .

ولم يخل العمل في هذا البحث من بعض الصعوبات، فمن ذلك كون أكثر مصادره كتبا لا يسهل الحصول عليها، ثم إن ما اطلعت عليه من تلك الكتب يحتاج إلى جهد مضاعف من أجل قراءة النصوص قراءة صحيحة، وكذلك ندرة الأطروحات العلمية، والبحوث التأصيلية في هذا الميدان. وأخيرا فهذا هو البحث الذي قد تمكنت بفضل الله تعالى من إنجازه على هذه الصورة التي أرجو لها أن تكون حافزا يدفع الباحثين الى الاهتمام بكتب علم التجويد والأصوات، فلا يمضي وقت طويل حتى نرى لهذا العلم كتبا جليلة قد نشرت؛ ليحقق المؤتمرغايته من انعقاد ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم بين الواقع والمأمول رؤى متجددة .

ويعلم الله – تعالي – أني قد بذلت مجهودا كبيرا في هذا البحث حتى خرج بهذه الصورة التي أرجو أن تنال القبول بإذن الله – تعالي. –

المبحث الأول:

نشأة علم التجويد

نشأة علم التجويد

إنّ كلمة تجويد بمعنى العلم الذي يهتم بدراسة مخارج الحروف وصفاتها، وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق لم يعرف إلا في حدود القرن الرابع الهجري، ومعنى هذا أن علم التجويد تأخر في الظهور علما مستقلا بالنسبة إلى كثير من علوم القرآن وعلوم اللغة العربية.

ولقد ذكر علماؤنا أن الصحابي عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– قال:"جودوا القرآن..."[1] واستند بعض المحدثين إلى هذه الرواية في القول بأن نشأة علم التجويد ترجع إلى عصر الصحابة، وقال: "ولسنا نملك لهذا النوع من الدراسة مادة كافية تسمح بتتبع تطوره، ووصف المراحل التي قطعها حتى صار علما مستقلا هو (علم التجويد)، وكل الذي يعرف عن مراحله الأولى أن أول من استخدم هذه الكلمة في معنى قريب من معناها هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله: (جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات)... ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، ومحاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره..."[2]

وهكذا يغدو ظهور علم التجويد فعلا موجها لوضع قواعد القراءة القرآنية وتحسين الأصوات ويتضمن الخروج عنها انفصالا عن جذورها الموغلة في العراقة. وينبغي مراعاة تلك القواعد عند تعليم الناطقين بغير اللغة العربية للقرآن الكريم وأصول التجويد بواسطة المتقن المجوّد المجيد .

ومما لا شك فيه أنه لم يرد في القرآن الكريم من مادة (ج و د) شئ في وصف القراءة، كذلك لم يعثر في ألفاظ كتب الحديث النبوي، شيئا من ذلك[3].وهذا أمر يمكن أن يستدل به على أن كلمة التجويد لم تكن تستعمل في عصر النبوة بالمدلول الذي صارت تدل عليه فيما بعد.

وكانت هناك كلمات أخرى تستخدم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في معنى كلمة (التجويد)، مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، وهي تستخدم في وصف القراءة حين تكون مستوفية لصفات النطق العربي الفصيح، جامعة إلى ذلك حسن الصوت والعناية بالأداء، ولم يرد من هذه الكلمات الأربع في القرآن الكريم سوى كلمة الترتيل[4] .

ولا يعني ذلك أن مفردات مادة (ج ود) لم تكن مستخدمة في اللغة العربية، فنجد عددا من الكلمات المشتقة من تلك المادة مثل: الجيد نقيض الردئ، وجاد الشئ جُودة وجَودة، أي صار جيدا، وأجاد أتى بالجيد من القول والفعل. ورجل جواد سخي، وجاد الفرس فهو

---

(1) النشر في القراءات العشر- أبو الخير محمد بن الجزري ج1،ص210.الاتقان في علوم القرآن السيوطي ج1، ص281.
(2) البحث اللغوي عند العرب .أحمد مختار عمر ص77
(3) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ج1 ص396-397
(4) قال تعالى:"ورتلناه ترتيلا" الفرقان آية (32) . وقال:"ورتل القرآن ترتيلا" المزمل آية (4)

جواد...[5]. والتجويد مصدر جودت الشئ. قال الداني: ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه، وبلوغ النهاية في تحسينه[6].

ومهما يكن من شيء فإن تعلم التجويد قديما وحديثا لأهل اللغة العربية وغيرهم يستلزم اتباع منهج علمي متكامل من حيث التدريب على مهارات الاستماع والكلام بطلاقة .

ولعل أقدم نص وردت فيه كلمة تجويد مستعملة بمعنى يقرب من معناها الاصطلاحي، في المصادر التي اطلعت عليها، هو قول ابن مجاهد مؤلف كتاب السبعة في القراءات، فقد قال الداني "حدثني الحسين بن شاكر، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي. فالجلي لحن الأعراب، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه"[7] ونقل أحمد بن أبي عمر الرواية على هذا النحو:"...والخفي ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها، بلا زيادة فيها ولا نقصان"[8].

إن الوقت الذي ظهرت فيه كلمة التجويد بمعناها الاصطلاحي هو الوقت الذي ظهر فيه أول كتاب مستقل في علم التجويد، فقد قال ابن الجزري، وهو يترجم لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي : هو أول من صنف في التجويد فيما أعلم، وقصيدته الرائية مشهورة، وشرحها الحافظ ابو عمرو[9]

والكتاب الذي أشار إليه ابن الجزري هنا على أنه أول كتاب في التجويد هو قصيدة أبي مزاحم الخاقاني الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقاني، التي يقول في مطلعها:

أقولُ مَقَالا مُعجَبا لأُولِي الحِجرِ ولافَخرَ، إنَّ الفخرَ يدعُوإلى الكِبرِ

وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتا، ذكر فيها أبومزاحم بعض الموضوعات التي صارت فيما بعد جزءا من علم التجويد، وكان لهذه القصيدة أثر واضح في جهود اللاحقين في علم التجويد، فهم بين مقتبس منها مستشهد بأبياتها، وبين معارض لها، أو شارح موضح لمعانيها.[10]

---

[5] لسان العرب.ابن منظور ج 4،ص110،ط1 بولاق
[6] التحديد في الإتقان والتجويد . أبوعمرو الداني ص2 ط معهد المخطوطات العربية القاهرة .
[7] التحديد في الإتقان والتجويد . ص22
[8] الايضاح في القراءات العشر .أحمد ابن أبي عمر ص68ط معهد معهد المخطوطات العربية القاهرة .
[9] انظر:غاية النهاية . عبدالله الخاقاني البغدادي ج2، ص321 ط دار الشروق بيروت 1980.
2 انظر :السابق ج2 ص 322 .

ومع أن القصيدة الخاقانية هي أول كتاب مستقل ظهر في علم التجويد إلا أن أبا مزاحم لم يستخدم فيها كلمة تجويد، ولا أيا من الألفاظ الأخرى التي تشاركها في المادة اللغوية، واستخدم مكانها كلمة الحُسن، وما اشتُق من مادتها. فقد قال في صدر البيت الخامس:

أَيا قارئَ القرآن أَحسِن أَداءَهُ

وقال في صدر البيت السابع عشر:

فقد قُلتُ في حُسن الآداءِقصيدةٌ

وعدم استخدام أبي مزاحم لكلمة (التجويد) في قصيدته يدل على أن هذا المصطلح لم يكن مشهورا حينذاك، على الرغم من ظهوره في ذلك الوقت، فقد استخدمه معاصره ابن مجاهد، كما مر في النص الذي نقلناه عنه.

وأول من استخدم مصطلح (التجويد) بعد ابن مجاهد هو أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي[11]. فقد قال في أول كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي): "سألتني... أن أصنف لك نُبذا من تجويد اللفظ بالقرآن". وقال في موضع آخر: "ويؤمر القارئ بتجويد الضاد من الضالين وغيرها"[12].

وإذا وافقنا ابن الجزري في قوله إن القصيدة الخاقانية هي أوكتاب كتب في علم التجويد فإن هناك قريبا من قرن من السنين بين تاريخ ظهورها وتاريخ ظهور كتاب السعيدي التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي الذي يتميز بأنه أقدم كتاب معروف لدينا اليوم في علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية، وهو يمثل بدء التأليف المستقل في علم التجويد.

والملاحظ عند ابن النديم، أنه لم يذكر أي كتاب يحمل اسم التجويد أو يمكن أن يكون موضوعه في هذا العلم، على الرغم من أنه ذكر في الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه مئات الكتب المؤلفة في علوم القرآن[13]. وهذا أمر يدل على أن علم التجويد لم يزل في القرن الرابع الهجري يخطو خطواته الأولى، ولم تشتهر كتبه حين ألف ابن النديم كتابه سنة 377هـ [14].

لعل ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم هو ما اكتسبه القدسية والمكانة الشريفة عبر القرون وأصبح القرآن الكريم هو محورالتأليف لعلوم التجويد بل وعلوم اللغة العربية؛ حيث إنها السبيل لفهم خطاب الله لسائر المخلوقات، وعندما نتقدم خطوة إلى الأمام وندخل في القرن

---

(11) انظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراء ج1، ص298. وابن الجزري: غاية النهاية ج1، ص529.
(12) انظر :التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي. أبوالحسن علي جعفر الرازي ص45 ص47 ط مكتبة وهبة
(13) انظر:الفهرست. محمد بن النديم تحقيق رضا حداد ص 27ط دار الشروق بيروت .1971
(14) انظر:الفهرست . محمد بن النديم ص3.

الخامس الهجري نجد أن المؤلفات في علم التجويد يتتابع ظهورها، حتى إننا لنجد أن أعظم مؤلفات علم التجويد قد ظهرت في هذا القرن، فبعد كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي للرازي الذي ظهر في القرن الرابع، يظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد، هما الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي، والتحديد لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

ونجد في مقدمة كتاب الرعاية لمكي ما يشير إلى أن القرن الخامس هو التاريخ الحقيقي لظهور المؤلفات في علم التجويد، قال مكي وما علمت أن أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها، ولا ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى، والتنبيه على تجويد لفظه، والتحفظ به عند تلاوته. ولقد تصور في نفسي تأليف هذا الكتاب وترتيبه من سنة تسعين وثلاثمائة، وأخذت نفسي بتعليق ما يخطر ببالي منه في ذلك الوقت ، ثم تركته اذ لم أجد معينا فيه من مؤلف سبقني بمثله قبلي، ثم قوى الله النية، وحدد البصيرة في إتمامه بعد نحو ثلاثين سنة، فسهل الله تعالى أمره، ويسر جمعه، وأعان على تأليفه[15]

وجاء في مقدمة كتاب التحديد للداني ما يشير إلى المعنى الذي يفهم من قول مكي السابق من انعدام المؤلفات في علم التجويد في وقتهما، فقال الداني :"أما بعد فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا ومقرئي دهرنا من تجويد التلاوة وتحقيق القراءة، وتركهم استعمال ما ندب الله تعالى إليه، وحث نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته عليه، من تلاوة التنزيل بالترسل والترتيل– أن أعلمت نفسي في رسم كتاب خفيف المحمل، قريب المأخذ في وصف علم الاتقان والتجويد، وكيفية الترتيل والتحقيق"[16]

ونستطيع القول إن مكي القيسي ألف كتاب الرعاية سنة 420هـ اعتماد على النص الذي سبق أن أشرنا إليه، ومهما يكن من أمر فإن نشأة علم التجويد ترتبط بقصيدة أبي مزاحم الخاقاني، وإن مؤلفاته الأولى تتمثل بكتاب اللحن الجلي واللحن الخفي للرازي، وكتاب الرعاية لمكي، وكتاب التحديد للداني ثم تتوالى المؤلفات بعد ذلك متواصلة إلى عصرنا الحديث.

ولعل ارتباط نشأة علم التجويد بالمؤلفات المذكورة يعني أن علم التجويد قد تأخر ظهوره بشكله المتميز المستقل أكثر من قرنين من الزمن عن ظهور كثير من علوم القرآن

---

[15] انظر:الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة مكي بن أبي طالب القيسي ص42 تحقيق أحمد حسن فرحات 1973م.
[16] انظر: السابق ص 375-377

والعربية، ويبدو أن جهود علماء العربية من النحويين واللغويين وجهود علماء القراءة كانت تقوم بالمهمة التي قام بها علم التجويد بعد ظهوره، في تعليم الناطقين بالعربية وغير الناطقين بها أصول النطق الصحيح، وقلقهم من الانحراف في النطق السليم.

وفي ضوء جهود اللغويين والنحاة في دراسة الأصوات العربية حتى أواخر القرن الرابع الهجري بما كتبه الخليل بن أحمد في مقدمة كتاب العين عن مخارج الحروف وصفاتها[17]. وسيبويه في الكتاب في باب الادغام خاصة[18]. والمبرد في كتاب المقتضب في أبواب الادغام[19].وابن دريد في مقدمة جمهرة اللغة[20]. والزجاج في آخر كتاب الجمل في باب الإدغام[21]. والأزهري في مقدمة تهذيب اللغة[22]. وأخيرا ابن جني في سر صناعة الاعراب[23] يمكن أن نتلمس قواعد التجويد في أصوله الأولى .

وذلك بخلاف كتب القراءات التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث فإنه لم يصل الينا منها شيئ يذكر [24]. ولم نجد في هذين القرنين أبوابا مستقلة تعالج موضوع الأصوات العربية، وإنما كانت إشارات وملاحظات صوتية متناثرة في بعض الكتب المتصلة بعلوم النحو والصرف وارتبط وجودها وبقاءها بالقرآن الكريم .

ونلاحظ – هنا – أن علماء التجويد قد قاموا باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءة، وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم (علم التجويد)، وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

ومهما يكن من استناد علماء التجويد على جهود سابقيهم من علماء العربية وعلماء القراءة فقد جاء عملهم متميزا، ولا يمكن أن نعده جزءا من تلك الجهود، وإنما جاء عملا شاملا للدرس الصوتي، أما علماء العربية فإنهم عالجوا الموضوع في إطار الدرس الصرفي وهو أمر تجاوزه علماء التجويد وذلك بالنظر إلى أصوات اللغة نظرة أشمل من ذلك.

---

(17) انظر: العين.الفراهيدي ج1 ص52-62 تحقيق د/ مهدي المخزومي ط الرسالة 1400هـ-1980م

(18) انظر: الكتاب. سيبويه ج4. ص431-485 تحقيق عبدالسلام محمد هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

(19) انظر: المقتضب أبوالعباس محمد يزيد . ج1 ص192-236 تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة . لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .

(20) انظر: جمهرة اللغة .أبوبكر محمد بن الحسن الأزدي ج1 ص4-8ط دارالمعارف 1344هـ

(21) انظر: الجمل.أبوالقاسم عبدالرحمن بن إسحاق . ص375-382ط 2 تحقيق ابن أبي شنب 1376هـ1957

(22) انظر: تهذيب اللغة. أبومنصور محمد أحمد . ج1 ص41-52 تحقيق عبدالسلام هارون ط الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1384هـ1964 م

(23) انظر: سر صناعة الأعراب .أبوالفتح عثمان ج1 ص1-75 تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1374هـ1954م

(24) انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث . عبدالصبور شاهين ص27-32 ط دار القلم القاهرة 1966م .

ولقد مضى علماء القراءة والإقراء مشغولين برواية النص القرآني الكريم وضبط حروفه كما نقلتها طبقات علماء القراءة طبقة عن طبقة حتى تنتهي إلى طبقة الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تلقوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم.

ومعنى هذا أن الكتب التي ألفها القراء في وصف القراءات القرآنية لا يمكن أن تعد بداية للتأليف في علم التجويد، لأن علم القراءة وعلم التجويد، وإن كان كل منهما يرتبط بألفاظ القرآن، يختلفان في الموضوع كما يختلفان في المنهج، أما الموضوع فإن علم التجويد لا يعني باختلاف الرواة بقدر عنايته بتحقيق اللفظ وتجويده، مما لا اختلاف في أكثره بين القراء، وأما المنهج فإن كتب القراءات كتب رواية، وكتب التجويد كتب دراية، تعتمد على مقدرة العالم في ملاحظة أصوات اللغو وتحليلها ووصفها.

ويبرزهذا الطرح من بعض النصوص التي وردت في عند مكي بن أبي طالب القيسي، منها قوله في مقدمة الكتاب ولست أذكر في هذا الكتاب إلا ما لا اختلاف فيه بين أكثر القراء، فيجب على كل من قرأ بأي حرف كان من السبعة أن يأخذ نفسه بتحقيق اللفظ وتجويده، وإعطائه حقه على ما نذكره مع كل حرف من هذا الكتاب [25]. ومنها كذلك قوله وهو يتحدث عن أحكام تجويد الهمزة: وقد تقدم ذكر أصول القراء واختلافهم في الهمز وتليينه وحذفه وبدله وتحقيقه وغير ذلك من أحكامه في غير هذا الكتاب، فلا حاجه بنا إلى ذكر ذلك، وكذلك ما شابه، فليس هذا كتاب اختلاف، وانما هو كتاب تجويد ألفاظ ووقوف على حقائق الكلام وإعطاء اللفظ حقه ومعرفة أحكام الحروف التي ينشأ الكلام منها، مما لا اختلاف في أكثره[26].

وفي ضوء هذا يؤكد محمد المرعشي ذلك كله في قوله: "إن قلت: ما الفرق بين علمي التجويد والقراءات؟ قلت: علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها، فإذا ذكر فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تتميم، إذ لا يتعلق الغرض به. ومن هذا المنطلق يتضح أن الغرض من دراسة علم التجويد معرفة ماهيات صفات الحروف.

كما تحدث المرعشي عن هذا الموضوع إذ يقول:اعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد لأن المقصود من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلا يعرف في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كذا وفي القراءة يعرف

---

[25] انظر : الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة . مكي بن أبي طالب القيسي ص42

[26] انظر : السابق ص128

فخمها فلان ورققها فلان. وبهذا يندفع ما عسى أن يقال علم القراءة يتضمن مباحث صفات الحروف كالادغام والاظهار والمد والقصر والتفخيم والترقيق، وهي مباحث علم التجويد[27].

وعلى هذا لا يغدو تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح، كما لا يعني أن علماء التجويد كانوا يعتنون غاية الاعتناء بتجويد الألفاظ وإعطاء الحروف حقها منذ عصر الصحابة وهلم جرا، حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد،وكانوا يستندون في ذلك إلى الرواية الأكيدة والأصول المرعية عند العرب في نطق لغتهم.

فأصول علم التجويد وقواعده إذن كانت موجودة في الكلام العربي، يحرص عليها القراء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقراءهم، وإن لم تكن مدونة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق، فعلم التجويد الذي يدرس النظام الصوتي للغة كان موضوعه تحليل ذلك النظام، واستخلاص ظواهره ووضعها في قواعد تساعد المتعلم على ضبطها واتقانها حين يستخدم اللغة، وهم في ذلك يسيرون على خطى علماء العربية الذين سبقوهم في هذا الميدان.

ويفسر محمد المرعشي كيفية قراءة القرآن في المرحلة التي سبقت ظهور كتب علم التجويد حيث يقول: وتجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجود، بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة، وتزيد المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف [28] فكانت أجيال المسلمين تجد القرآن بالمشافهة منذ عصر الصحابة حتى ظهرت المؤلفات التي تعنى بالتجويد، وظلت المشافهة والتلقي عن الشيخ المتقن هي الأساس في قراءة القرآن واتقان اللفظ بحروفه، وتحسين القراءة والالتزام بصفات الحروف الملازمة له كالشدة والاستعلاء وهو ما يعرف بحقوق الحروف، والالتزام كذلك بالصفات غير الملازمة والطارئة له كالأدغام ولإقلاب والإخفاء وهو ما يعرف بمستحق الحروف .فالمشافهة سبيل إتقان القراءة في المخارج والصفات والوقف والابتداء لما تلقاه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم

ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية والصرفية والنحوية حيث بنى ترتيب الأصوات على أساس منطقي، انطلاقا من معرفة خصائص الحروف وصفاتها، وخرج علينا بمعجم العين بشقيه مقدمته ذات القيمة

---

[27] انظر : ترتيب العلوم . محمد المرعشي ص 64 65 ط مركز إحياء التراث 1984م

[28] انظر : السابق ص66

العلمية الكبيرة وأصل مادته اللغوية، ليكون بحق صاحب هذا العلم ورائده الأول، ثم تبعه تلميذه سيبويه سائرا على خطى أستاذه، لكنه خالف قليلا في صفات الحروف، وأضاف إلى هذا العلم ما يشهد له بقدم السبق فيه فقد وضع قضايا الأصوات، وحدد بدقة صفات الحروف ومخارجها، وكان علماء النحو والقراءة من بعده يسيرون على مذهبه، ثم نهض بأعباء الصوت اللغوي بعد مدرسة الخليل اللغوي الكبير ابن جني متجاوزا مرحلة البناء التأسيس إلى مرحلة الأصيل متعرضا لقضايا الصوت في كتابيه: سر صناعة الإعراب، والخصائص في بحوث غاية في الدقة منها حديثه عن مصدر الصوت وكيفية حدوثة واختلاف جرسه بحسب اختلاف مقاطعة والفروق البارزة بين الأصوات والحروف والأصوات الصائتة والأصوات الصامتة، كما تطرق ابن جني إلى موضوع نشأة اللغة، وأثر المسموعات الصوتية في نشوء اللغات الإنسانية، مشيرا في الوقت نفسه إلى نظرية محاكاة الأصوات[29].

كما أن علماء التجويد انطلقوا من الدرس الصوتي لتأصيل علم التجويد، فوضعوا عشرات المصطلحات الخاصة بالأداء الصوتي الدقيق للقرآن الكريم، فيما يسميه علماء الأصوات اليوم بعلم وظائف الأصوات (phonology) ومنها صفات الحروف كالحروف كالهمس والجهر والشدة والرخاوة والتوسط والاستعلاء والاستفال، وغير ذلك كالمد واللين والانحراف والتكرير والتفشي والاستطالة والإدغام والإخفاء[30].

وقد أفاد كثير من اللغويين في العصر الحديث مما توصل إليه العلم الحديث في مجال علم الأصوات من أمثال إبراهيم أنيس، وتمام حسان، وكمال بشر، ومحمد حسن جبل ولهذا فإني أرى بعض الباحثين الغربيين قد شهد بنموذجية المقطع العربي حيث يقول عبدالصبور شاهين: إن كثيرا من اللغات جد فيها ميل واضح إلى تقريب بنية مقاطعها من النموذج الأمثل الذي وصفه جسبرين بقدر الإمكان[31].

ففي تمثيله لهذا الاتجاه لم ير إلا ما رآه علماؤنا القدامى من وجوب اجتلاب همزة الوصل للنطق بالكلمة المبدوءة بمقطع صامت ساكن، إذ ذكر أن في اللاتينية تغيرت بنية Stare إلى Istare أو Estare، أي بإضافة حركة وصل جعلت مجموعة Stare.

---

[29] انظر : الميسر في تعليم الأصوات القرآنية د نصر سعيد عبدالمقصود ص3 ط2 مكتبة التقوى الحديثة 1442- 2021

[30] انظر :السابق ص 7

[31] انظر : علم الأصوات بارتيل ما لبرج ص159 ترجمة د/عبدالصبور شاهين

ذات مقطعين، ثم قال : "فهو إذا عامل التطور الذي جعل البنية المقطعية للكلمة أكثر انطباقا مع النموذج الأمثل[32].

ويؤكد ربيع محمد صادومة على أهمية وصل الحاضر بالماضي وربطهما معا بالمستقبل إذا كنا نطمع لعربيتنا عالمية في عصرها الحديث[33].

وهو ما يشير إليه تمام حسان حيث يقول: ينبغي أن تتضمن المؤلفات والبرامج التعليمية للطلبة الأجانب الاتجاهات والتطورات العالمية وأن تقف كثيرا عند القضايا التي تقدمها للطالب من عادات وتقاليد وأساليب حياة وآمال وتطلعات وتراث وتاريخ والتي ينتظر أن تؤثر في تكوين فكرة الطالب عن ثقافة هذه اللغة وحضارتها واتساع رقعتها فتؤدي دورها في إيصال هذا الفن المهم إلى ما يجب أن يكون عليه ولن نجد أفضل من كتاب ربنا القرآن الكريم ليساعدنا في هذه المهمة[34].

ومن هذا المنطلق تتجلى أهمية ربط اللغة العربية بالقرآن الكريم والتجويد والثقافة العربية الأصيلة عند تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها .

المبحث الثاني

القواعد الصوتية والتجويد

---

[32] انظر : السابق ص 159

[33] انظر : مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود ص 203 ع 9 1413 هـ 1992م

[34] انظر : التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بغيرها . د تمتم حسان ص 92 ط1 أم القرى 1404 هـ 1984م

أدرك علماء قراءة القرآن الكريم دراسة الأصوات وانتظام هذه الدراسة في علم مستقل هوعلم التجويد وسوف نمهد لهذا المبحث بالبحث في دوافع الدراسة الصوتية عند علماء العربية، الذين سبقوا علماء التجويد في دراسة الموضوع بأكثر من قرن ونصف من الزمان، لكي نبين هل كانت وجهة علماء التجويد في هذا الموضوع امتدادا لوجهة علماء العربية فيه، أو كانت لهم فكرة خاصة يستندون إليها في معالجته؟

ولقد سبق علماء العربية من النحاة واللغويين علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية، وكان دراستهم لها تتناسب مع حاجة الموضوعات التي كانوا يعالجونها، فالذي يقرأ مقدمة معجم العين للخليل بن أحمد، وهي الجزء الذي لا يختلف اللغويون حول صحة نسبته إلى الخليل، كما جاء في تهذيب اللغة[35] يجد أن دراسة الخليل للأصوات كانت لأغراض تتعلق بالمعجم وتنظيمه وبالكلمات وأبنيتها، فانشغاله بترتيب الحروف في أول المعجم، وتقديمه طريقة لاختبار مخارجها كان لتوضيح منهجه الذي سار عليه في الكتاب[36]. وكذلك كلامه عن الحروف الذلقية كان مرتبطا بأبنية الكلمات الرباعية والخماسية[37].ومثل ذلك كلامه عن تقسيم الحروف إلى صحاح ومعتلة كان مرتبطا بتوزيع الكلمات في أبواب المعجم، فانه كان يؤخر المعتل ويقدم الصحيح من الأبنية[38]. وبالجملة كانت دراسة الخليل للأصوات ترتبط بمنهجه في بناء العين الذي اختار له طريقة تعتمد في جوهرها على أسس صوتية .

ووقف سيبويه في دراسته للأصوات العربية عند موضوع الادغام، حيث قال، بعد أن ذكر عدد حروف العربية وبيّن مخارجها وصفاتها: وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الادغام وما يجوز فيه، وما لايحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدعم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك [39].وردد المبرد وابن يعيش ما قاله سيبويه حين درسا موضوع الأصوات العربية[40]. وقال ابن جني: وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها.. ثم أفرد، فيما بعد لكل حرف منها بابا أغترق فيه ذكر أحواله وتصرفهفي الكلام،

---

(35) انظر: تهذيب اللغة .أبومنصور محمد أحمد ج1، ص41

(36);انظر: كتاب العين أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ج1، ص 47-48تحقيق د مهدي المخرومي ط دار الرسالة للطباعة 1394هـ1980م

(37) انظر: السابق ج1 ، ص51-5 5

(38) انظر : السابق ج1، ص57

(39) انظر : السابق ج4 ، ص436

(40) انظر: المقتضب . أبو العباس محمد يزيد ج1 ، ص196،تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة . لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة. وانظر كذلك : الإيضاح في شرح المفصل أبوعمرو بن عمر ج10 ص122، وانظركذلك :كتاب الجمل أبوالقاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي ص375. تحقيق ابن أبي شنب 1376. 1957م

من أصليته وزيادته، وصحته وعلته، وقلبه إلى غيره، وقلب غيره إليه[41] وكان ما ذكره ابن جني في دراسة الأصوات في مقدمة الكتاب.

ولقد كانت دراسة الأصوات عند علماء العربية إذن ترتبط بأغراض معينة في الموضوعات التي كانوا يبحثونها، ولم تكن تتبع نظرة شاملة مستقلة تهدف إلى بيان النظام الصوتي للغة العربية وما يخضع له ذلك النظام من الاعتبارات الصوتية في الكلام المنطوق. وليس هذا الكلام من باب النقد أو الطعن على جهود علماء العربية، وانما هو من باب تقرير الحقائق لنحدد بالموازنة اتجاهات علماء التجويد في دراسة الأصوات. على أننا نلاحظ أن اتجاها جديدا برز لدى بعض النحاة المتأخرين، وان ظلت دراسة الأصوات تسير عندهم في نفس الاطار، ذلك الاتجاه هو أنهم جعلوا من أسباب البحث في الأصوات أن ينطق غير العربي بالأصوات العربية مثل ما ينطق العربي، وهواتجاه تعليمي محض لا أستبعد تأثرهم فيه بجهود علماء التجويد.

وقد أطل أبوحيان الأندلسي على تحديد غاية الدراسة الصوتية عند النحاة، عن طريق من نقلوا كلامه من تلامذته وغيرهم.

ولقد أشارإلى كلام أبي حيان تلميذه الحسن بن قاسم المرادي في كتابه(شرح التسهيل)[42]. دون أن يصرح باسمه، وفعل السيوطي مثله في (همع الهوامع)[43].

وتجدر الإشارة – هنا– إلى أن أبا حيان الأندلسي لم يكن نحويا كبيرا فحسب، وإنما كان أيضا عالما كبيرا من علماء من علماء القراءات والتجويد، وقدوصفه ابن الجزري بأنه شيخ التجويد[44] وأنه أستاذ العربية والقراءات[45]. كما قال عنه بأنه شيخ العربية والأداب والقراءات[46]، وهومتأثر بعلم التجويد. لاسيما أن أبا حيان كان قد عكف على دراسة علم التجويد دراسة عميقة على يد شيخه ابن الناظر، وأخذ عنه مؤلفه في التجويد، قال ابن الجزري وهو يترجم لابن الناظر: وألف كتابا كبيرا حسنا في التجويد، سماه الترشيد، قال أبو

---

(41) انظر: سر صناعة الأعراب. أبوالفتح عثمان ج1 ص3-4 تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط مصطفى البابي مصر 1374هـ1954م

(42) انظر: شرح التسهيل ، بدرالدين بن قاسم المرادي ص304ط مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب

(43) انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع .جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر ج6، ص296-297تحقيق د عبدالعال سالم ط دار البحوث العلمية 1400هـ 1980م

(44) انظر : النشر في القراءات العشر أبوبكر أحمد بن محمد ج1، ص210ط المكتبة التجارية الكبرى القاهرة

(45) انظر : السابق ج1 ص216

(46) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء. أبوالخير محمد بن محمد ج1 ص285 ط مكتبة الخانجي بمصر 1351هـ 1932م .

حيان: رحلت إليه قصدا من غرناطة لأجل الاتقان والتجويد... قلت ابن الجزري: وقرأ عليه أيضا كتابه الترشيد وهو الذي أدخله القاهرة [47].

على أن علماء التجويد قد ارتبطت دراستهم للأصوات بشكل أساسي عند حدود ما سموه باللحن الخفي، فقد قسموا اللحن إلى قسمين هما: اللحن الجلي، وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وقالوا بأنه ميدان عمل النحاة والصرفيين. واللحن الخفي وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وقالوا بأن هذا هو ميدان عمل علماء التجويد، وهو يستلزم في نظرهم دراسة ثلاثة أمور: مخارج الحروف، وصفاتها، وأحكامها التركيبية. وهذه هي عناصر علم التجويد الأساسية.

ولذا نجد البغدادي يصرح أن معنى الرواية السابقة، قد تكون في أحد كتب ابن مجاهد المفقودة أو أن تلميذة أحمد بن نصر الشذائي تلقفها عن استاذه مشافهة، فقد قال ابن مجاهد في كتاب السبعة: "كذلك ما روي من الآثار في حروف القرآن، منها المُعرَبُ السائر الواضح، ومنها المُعرَبُ الواضح غير السائر، ومنها اللغة الشاذة القليلة، ومنها الضعيف المعنى في الاعراب غير أنه قد قرئ به. ومنها ما تُوُهّمَ فيه فَغُلِطَ به- فهو لحن غير جائز- عند من لا يبصر من العربية الا اليسير، ومنها اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير"[48]. فابن مجاهد إذن هو مؤسس فكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي.

وكانت الفكرة في تقسيم اللحن قد عرفت في أعمال علماء التجويد منذ مراحله الأولى، وكانت مستندهم في بناء منهج كتبهم وطريقة معالجتهم للظواهر الصوتية. قال أبو مزاحم الخاقاني وهو معاصر لابن مجاهد في قصيدته مشيرا إلى اللحن:

فَأَوَّلُ عِلْمِ الذِّكْرِ إِتْقانُ حِفْظِهِ وَمَعْرِفَةٌ بِاللَّحْنِ مِنْ فِيكَ إِذْ يَجْرِي

فَكُنْ عَارِفاً بِاللَّحْنِ كَيْمَا تُزِيلُهُ فَمَا لِلذِي لا يَعْرِفُ اللَّحْنَ مِنْ عُذْرِ

وأشار إلى فكرة تقسيم اللحن أبو الحسن السعيدي حتى أنه سمى كتابه التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، وقد قال في مقدمته: ينبغي لقارئ كتاب الله عز وجل بعد معرفته باللحن الجلي أن يعرف اللحن الخفي لأن اللحن لحنان، لحن جلي ولحن خفي.وأن اللحن الجلي هو أن يرفع المنصوب وينصب المرفوع أو يخفض المنصوب والمرفوع، وما

---

[47] انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج1 ص242

[48] انظر: كتاب السبعة في القراءات . أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادي ص 47. تحقيق د شوقي ضيف ط دارف المعارف مصر 1972م. وانظر كذلك : التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي . أبوالحسن على جعفر الرازي ص49ط مكتبة وهبة .

أشبه ذلك، فاللحن الجلي يعرفه المقرئون والنحويون وغيرهم ممن قد شم رائحة العلم.واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقن من ألفاظ الأستاذين المؤدي عنهم، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه، المتجنب عن الإفراط في الفتحات والضمات والكسرات والهمزات وتشديد المشددات، وتخفيف المخففات، وتسكين المسكنات، وتطنين النونات، وتفريط المدات وترعيدها، وتغليظ الراءات وتكريرها، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة، وتشديد الهمزات وتسهيلها [49]

وأشار الداني إلى موضوع اللحن الخفي في كتابيه التحديد في الاتقان والتجويد وشرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني[50]، والداني هو الذي نقل لنا الرواية التي تحكي لنا تقسيم ابن مجاهد للحن إلى جلي وخفي كما سبق قبل قليل، وإذا كنا نلاحظ أن الداني لم يطل الوقوف عند هذه القضية فإن عبدالوهاب القرطبي قد جعلها أساس كتابه الموضح في التجويد ولهذا سنقف عنده هنا وقفة أطول مما وقفنا عند غيره.

يشتمل كتاب الموضح على ثلاثة أبواب رئيسة ومقدمة، وقد ذكر المؤلف في أول الكتاب السبب الذي دفعه إلى التأليف فقال: ولما رأيت الناشئين من قَرَأَةِ هذا الزمان وكثيرا من منتهيهم قد أغفلوا إصلاح ألفاظهم من شوائب اللحن الخفي، وأهملوا تصفيتها من كَدَرِهِ وتخليصها من دَرَنِهِ، حتى مرن على الفساد ألسنتهم، وارتاضت عليه طباعهم، وصار لهم عادة، بل تمكن منهم تمكن الغريزة... رأيت لفرط الحاجة إلى ذلك وعظم الغناء به أن أقتضب مقالا يهز عِطفَ الفاتر، ويضمن غرض الماهر، ويسعف أمل الراغب، ويؤنس وسادة العالم [51].

ثم ذكر المنهج الذي سوف يسير عليه فقال: أذكر معنى اللحن في موضوع اللغة وحده، وحقيقته في العرف والمواضعة، والسبب الذي من أجله علق بالألسنة وفشا في كلام العرب، وأبين ما المقصود بالتنبيه عليه، والمراد من الاعلان بالتحذير منه، وما الفائدة الحاصلة بذلك والثمرة المجتناة عنه، ثم أشفع ذلك بالكلام عليه من جهة التفصيل والتقسيم،

---

[49] انظر: كتاب التنبيه الجلي واللحن الخفي . أبوالحسن علي جعفر ص45-56. وقد طبق السعيدي فكرة اللحن الخفي في كتابه وهو يعالج صورا نطقية معينة فكان يقول ص48 "وذلك لحن غير جائز عند أهل التحقيق"أو يقول"وهو لحن خفي"وانظر أيضا ص51-52

[50] انظر : كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ص 46

[51] انظر : الموضح لمذهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة . أبوعمرو عثمان بن سعيد ص144ط مكتبة المكتبة الأزهرية .

وأبعث على تجويد القراءة بذكر ما يستقبح منها ويستحسن، ويختار منها ويستهجن، بقدر الطاقة ومنتهى الوسع والامكان [52].

وفي قول الرازي: واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ الضابط الذي قد تلقن من ألفاظ الأستاذين المؤدي عنهم، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه[53].

وفي قول مكي بن أبي طالب: ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة في لطف قدرة الله الكريم، وعونا لأهل قراءة القرآن على تجويد ألفاظه وأحكام النطق به، وإعطاء كل حرف حرف حقه وإخراجه من مخرجه [54]

ونلاحظ إذن أن إعطاء الحرف حقه ومستحقه من حيث مخرج الحرف وصفته هو الأساس الذي يقوم عليه علم التجويد وهو ما يرتبط بعلم الاصوات فغدا لدى الباحثين في علم اللغة والتجويد هدفا في ذاته ودلالة على الجودة والإتقان .

وفي هذا الجانب نجد تأكيد علم الدين السخاوي علي اجتناب اللحن حيث يقول : إن المراد بالتجويد إعطاء الحروف حقوقها، وإخراجها من مخارجها واجتناب اللحن الخفي".[55]

وفي ذلك يقول ابن الجزري في المقدمة عندما يشيرإلى تعريف التجويد:[56]

وهو إعطاء الحروفِ حقّهَا من صفةٍ لها ومُستَحَقَّها

وحق الحرف صفته اللازمة له من همس وجهر وشدة ورخاوة وغير ذلك من الصفات الماضية، ومستحقه ما ينشأ عن هذه الصفات كترقيق المستفل وتفخيم المستعلي ونحوه .

ويتضح مما سبق أن ملاحظة اللحن الخفي في قراءة القرآن ومحاولة معالجتها وتصحيح النطق بها كانت السبب الذي يقف وراء الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وأنهم درسوا أصوات اللغة وحددوا صور نطقها الصحيحة، ورصدوا الانحرافات المتوقعة في نطقها مما سموه باللحن الخفي، ليحترز الناطق منها ويجتنبها،وقد تحققت لعلماء التجويد بذلك فرصة لدراسة أصوات العربية دراسة شاملة، لم تتحقق للنحاة الذين كانت تشغلهم دراسة الأصوات لمعالجة بعض القضايا الصرفية.

فلا يخفى على أحد اليوم أن مستقبل لغتنا، وثقافتنا، رهين بمدى قدرتنا على التحكم، والاندماج الإيجابي والمنفتح، في العطاءات، بل الفضاءات التقنية والعلمية الحديثة،

---

[52] انظر : السابق ص144

[53] انظر: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي . أبو الحسن علي جعفر الرازي ص46

[54] انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة . مكي بن أبي طالب القيسي . ص41

[55] انظر: جمال القراء وكمال الإقراء . علم الدين أبوالحسن على محمد بن عبدالصمد السخاوي 189ط دار الكتب دمشق

[56] انظر: متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية . أبو بكر أحمد بن محمد . ص15ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بميدان الأزهر بمصر 1375- 1956م

واستثمار الوسائط المتعددة التي تطورت بسرعة مذهلة، وأصبحت تنجز في ثوان، ما لم ينجز في الماضي في سنوات[57] ، ومن ثمنستطيع الاستفادة من التوظيف التقني للقرآن الكريم، في ربط متعلم العربية من الناطقين بغيرها، بما له من روعة وهيبة تستلب القلوب والعقول معا، من خلال:

أ–توظيف القرآن الكريم تقنيا في تعليم أصوات العربية

لكل لغة من لغات البشر نظام صوتي خاص بها، ويعد النطق الجيد للغة الهدف من أصعب عناصر اللغة اكتسابا؛ ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أسباب عضوية، فجهاز النطق وما يحمله من العادات النطقية يتكيف مع اللغة الأم، ويصعب إعادة تكيفه مع ما يخالفها من اللغات؛ لذلك يحتاج هذا الجانب من الأداء اللغوي إلى عناية خاصة، واهتمام مكثف في الميادين التعليمية من الجانبين النظري والتطبيقي، إذ النطق الجيد نتاج سماع جيد، و"السمع أبو الملكات اللسانية" كما يقول ابن خلدون[58] فلا يمكن للطالب أن يتكلم إلا إذا أتقن مهارة الاستماع، والقدرة على الطلاقة في النطق تعتمد، إلى حد كبير، على الاستماع السليم، وفي هذا الميدان يمكن الاستفادة من القرآن الكريم، وهو أمر لا تزال كثير من مناهج تعليم العربية غفلا منه عن طريق تصميم برامج حاسوبية خاصة لتعليم أصوات اللغة العربية للناطقين بغيرها، من خلال الاستماع الجيد للقرآن الكريم والتعود على النطق الأمثل لحروف العربية بأصواتها الصحيحة.كما وجه إلى أن من يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف وخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم[59].

لاسيما وأن حركة تأليف كتب تعليم العربية للناطقين بغيرها كما يقول محمود كامل الناقة: تنتشر خارج العالم العربي والإسلامي إذ تشير الإحصائية التي قام بها معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى إلى أن حركة تأليف العربية للأجانب تتمركز خارج أرض العرب، وعلمائها الذين ينتمون إليها لغة وثقافة وحضارة!! فمجموع ما ينتج من كتب، وفق هذه الاحصائية، في أمريكا، وألمانيا، وإنجلترا، وفرنسا، حوالي 52% من حركة التأليف (أمريكا 28% وألمانيا9% وانجلترا9% وفرنسا6% ومجموع ما تنتجه الدول الإسلامية غير العربية

---

[57] انظر: دور وسائل التقنية في تطوير تعليم اللغة العربية،د/رضوان الدبسي، وقائع مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة" بيروت 2002

[58] مقدمة ابن خلدون، 1 ص559،ط5 دار القلم بيروت 1984م ويقول في موضع آخرط1 ص526 "هذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه"

[59] انظر : السابق 1ص 559

حوالي 11% (الباكستان6% وإيران 3% وبنجلادش1% وتركيا1%)وتنتهي الإحصائية إلى أن حركة نشر كتب تعليم العربية لغير الناطقين بها في المنطقة العربية، ما زالت دون المستوى (حوالي 34%) إن هذه المنطقة أحق من غيرها بنشر لغتها في أرجاء المعمورة؛ ومن ثم فهي أولى بتبني حركة التأليف والطبع والنشر في هذا الميدان، أسوة بما تقوم به البلاد الأجنبية المتقدمة في سبيل نشر لغتها[60]

على أن هذا التذكير يهيئنا، هنا، للتأكيد على أن الله – سبحانه وتعالى – قد شرف اللغة العربية بجعلها لغة عالمية وثيقة الصلة بالدين الإسلامي .

[60] انظر : السابق الصفحة نفسها

الفصل الثاني

منهج علماء التجويد في دراسة القواعد الصوتية

وذلك من خلال مبحثين

المبحث الأول عنوانه: صلة علم التجويد بعلوم القرآن وعلم اللغة

المبحث الثاني عنوانه: تعليم القرآن والتجويد للأجانب وفق الدراسات الحديثة

المبحث الأول

علاقة علم التجويد بعلم اللغة والأصوات

ظل علم التجويد مرتبطا بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وأحكامها التركيبية، مما نسميه الآن علم الأصوات اللغوية، وكان هذا الموضوع يحظى بعناية علماء القراءة، كما كان يحظى بعناية علماء العربية من النحاة واللغويين، قبل أن يظهر علم التجويد بشكله المستقل، وجاءت مرحلة تركزت فيها الدراسة الصوتية في كتب علم التجويد وضعفت عند النحاة، فكان كتاب سر صناعة الأعراب لابن جني العمل الوحيد للنحاة الذي أخذ شكلا مستقلا، ولكنه لم يكن صوتيا خالصا، كما أنه كان عملا مستقلا لم يظهر بعده أعمالا أخرى للنحويين تعالج هذا الموضوع، فظل يدرس في أواخر بعض كتب النحو أو الصرف كما نجد في المفصل للزمخشري، وشروحه الشافية لابن الحاجب وشروحها، والتسهيل لابن مالك وشروحه.

وتتجلى في دراسة النحويين المتأخرين للأصوات العربية، أنهم صاروا يعتمدون على آراء علماء التجويد ومذاهبهم في تحليل الظواهر الصوتية ووصفها وتعليلها، مثلما كان علماء التجويد يعتمدون على دراسات النحويين الصوتية في بدء أمرهم. قال الداني في أول باب مخارج الحروف: وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، إذ هو الصحيح المعول عليه[61] وصرنا نجد في كتب متأخري النحاة رأي النحوي إلى جانب رأي عالم التجويد، وهذه ثلاثة أمثلة توضح لنا ذلك التداخل الحاصل في الدراسة الصوتية بين علماء اللغة وعلماء التجويد:

وقد ذكر أبو حيان في كتابه أن : المخرج الثاني: وسط الحلق، وهو العين والحاء. وظاهر كلام سيبويه أن الحاء بعد العين، وهو نص كلام مكي بن أبي طالب. ويظهر من كلام المهدوي أم العين بعد الحاء، وهو نص أبي الحسن شريح[62].

---

[61] انظر: التحديد في الإتقان والتجويد . أبوعمرو عثمان بن سعيد . ص16

[62] انظر: ارتشاح الضرب من لسان العرب . أثير الدين محمد يوسف بن علي . ص2

ومن هذا الباب يدخل الحسن بن قاسم المرادي ليتحدث عن إدغام النون الساكنة: والميم تدغم فيها بغنة، واختلف فيها، فذهب المحققون إلى أن الغنة للميم المبدلة من النون وهو إدغام تام صحيح، وذهب ابن كيسان وابن المنادي وابن مجاهد في أحد قوليه إلى أن الغنة للنون، وهو إدغام غير مستكمل، والتشديد غير بالغ. وقد ذهب إلى ذلك أبو محمد مكي بن أبي طالب، وزاد أن إدغام النون في النون إدغام غير مستكمل لبقاء الغنة، والصحيح قول الجمهور. وقال ابن أبي الأحوص: إدغامها في مثلها وفي الميم بغنة لا خلاف في ذلك.[63].

ومن ثم يلفتنا السيوطي إلى بعض مخارج الحروف: اختلاف مخرج اللام والراء والنون كاختلاف المخرج الذي فوقه من وسط اللسان، وهو مخرج الشين والجيم والياء، ولم يُجعَل ثلاثة مخارج بل جُعلَ مخرجا واحدا، فكذلك هذه الحروف ينبغي أن تُجعَل كذلك، وقال ابن أبي الأحوص: ما ذهب إليه سيبويه من أنها ثلاثة مخارج هو الصواب[64].

وليس غرضنا من نقل هذه النصوص الثلاثة مناقشة مضمونها هنا، وإنما غرضنا توضيح امتزاج الدراسة الصوتية عند علماء العربية بالدراسة الصوتية عند علماء التجويد.

حيث إن دراسة الأصوات العربية كان يتقاسمها علماء اللغة والأصوات وعلماء التجويد، وكان كل فريق يأخذ من الاخر، والفرق بينهما أن علماء العربية لم يخصصوا للموضوع كتبا مستقلة، وكانت دراستهم الصوتية مرتبطة بقضايا صرفية. أما علماء التجويد فقد جعلوا دراستهم مستقلة في كتب خاصة، كما أنها كانت عندهم على نحو أشمل. ولكن ذلك كله لا يغير من حقيقة جوهرية هي أن دراسة الأصوات العربية موضوع لغوي أساسا، سواء أقام بها النحاة أم قام بها علماء قراءة القرآن، وسواء ارتبطت بنص محدد مثل ألفاظ القرآن الكريم، أم كانت تعني بنص لغوي يشمل القرآن ونصوص لغة العرب من شعر ونثر، في عصر محدد أو غير محدد.

ومن ثم إذا نظرنا إلى مادة علم التجويد نستطيع القول: إن علم التجويد من علماء العربية، كما أننا إذا نظرنا إلى كون هذا العلم يرتبط بقراءة القرآن، ويستمد أمثلته من ألفاظ القرآن الكريم أمكننا أن نقول: إنه من علوم القرآن، فهذا العلم إذن لا يمكن أن نقطع ارتباطه بهذين الحقلين الواسعين من حقول المعرفة علوم العربية وعلوم القرآن الكريم . وليس علم التجويد هو الوحيد الذي يتخذ هذه الصفة. فنجد علم الوقف والابتداء تنطبق

---

(63) انظر: شرح التسهيل . بدرالدين الحسن بن المرادي بن قاسم ص 308 .

(64) انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر 293/6 ط دار البحوث العلمية 1400هـ 1980م

عليه هذه الظاهرة المزدوجة في ارتباطه بعلم النحو من جانب وبعلوم القرآن من جانب آخر، وليس هذا الذي نقوله جديدا، فقد أدرك المشتغلون بتاريخ علوم العربية مقدار ارتباط هذه العلوم بالقرآن الكريم، وكذلك صار واضحا منذ وقت مبكر حاجة المشتغلين بعلوم القرآن، لاسيما المتعلقة بضبط نصه، إلى اتقان علوم العربية.

فها هوا ذا أبو عمرو الداني يقول في نهاية كتابه التحديد في الاتقان والتجويد: فهذا كله وسائر ما ذكرناه قبلُ لا تتمن معرفته للقراء الا بنصيب وافر من علم العربية، وذلك من أكد ما يلزمهم تعلمه والتفقه فيه، إذ به يفهم الظاهر الجلي، ويدرك الغامض الخفي، وبه يعلم الخطأ من الصواب ويميز السقيم من الصحيح[65].

وعلى هذا النحو يكشف ابن الجزري عن أهمية إتقان اللغة العربية في تعلم القرآن الكريم فيقول: ثم اعلم أن ما ذكرناه من الحذق بالأداء وما لم نذكره من مذاهب القراء لا يوقف على حقيقته ولا يوصل إلى كيفيته الا باتقان العربية ومقاييسها، ومعرفة وجوه القراءات ورواياتها.[66]

وعلى الدرب ذاته يسير القسطلاني في ذكر العلوم التي يحتاج إليها دارس القراءات، وجعل علم العربية ثاني تلك المهمات بعدالأسانيد[67] . وقد قال: وأما الجزء الثاني: وهو علم العربية، فاعلم أنه لما كان إنزال القرآن العزيزإنما وقع بلسان العرب، توقف الأمر في أدائه على معرفة ما يجوز عندهم النطق به وما لا يجوز، وهو قسمان: معرفة الاعراب المميز للخطأ والصواب، والثاني: معرفة كيفية نطقهم بكل حرف، ذاتا وصفة، وهو معرفة مخارج الحروف وصفاتها[68].

ونتيجة لذلك الارتباط بين علم التجويد وعلوم العربية، خاصة النحو والصرف، وجدت محمد المرعشي، وهو الوحيد الذي اطلعت على رأي له في هذا الموضوع، يميل إلى اعتبار علم التجويد من علوم العربية من غير أن ينكر صلته بعلوم القرآن، قال في جهد المقل وهو يعلق على قول علي القاري موضوعه الكلمات القرآنية، يعني حروفها :وفيه نظر، لأنه يبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت، فلعله من الحروف العربية، وداخل في

---

(65) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد .أبو عمرو عثمان بن سعيد . ص44

(66) انظر: التمهيد في علم التجويد . أبوالخير محمد بن محمد بن الجزري ص89 ط1 القاهرة 1326- 1908م

(67) لطائف الاشارات لفنون القراءات أحمد بن محمد بن أبي بكر . تحقيق د. عبدالصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان ج1 ص172ط لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة 1392هـ 1972م

(68) انظر : السابق 173

التصريف، ولذلك جُعلَ جزءا من بعض كتبه كالشافية. ولما أفرزه العلماء عن كتب التصريف لمعرفة أحوال حروف القرآن لا يبعد أن يصطلحوا على أنها موضوعه[69].

على أن هذه الرؤية تمتد إلى المرعشي، وذلك في قوله عن علم التجويد أنه من العلوم العربية الباحثة عن أحوال اللفظ العربي سواء وقع في القرآن وفي غيره، وليس من العلوم الشرعية الباحثة عن أحواله الشرعية الخاصة وقوله وداخل في التصريف لأنه علم يبحث فيه عن هيئات الكلمات التي ليست باعراب، ومخارج الحروف وصفاتها المذكورة في هذا العلم من هيئات الكلمات، لأن الكلمات مركبة من حروف[70].

ومن هذا المنطلق يكون علم التجويد من العلوم العربية، باعتباره جزءا من علم التصريف يعني علم الصرف. ويبدو أن المرعشي يتوسع هنا بمفهوم علم الصرف الذي يختص بأحوال الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء المتمثلة ببنية الكلمة ليشمل الأجزاء التي تتكون منها الكلمة وهي الحروف.

وإذا كنت من الموافقين للمرعشي على عده التجويد من العلوم العربية أي اللغوية، فإن واقع الدراسات اللغوية المعاصرة يأبى أن يلحقه بعلم الصرف، فالتجويد علم مستقل بذاته يعني بدراسة أصوات اللغة العربية مخارجها وصفاتهاواحوالها التركيبية، وليس بضائر بعد ذلك أن نسميه علم التجويد أو علم الأصوات اللغوية.

ومع أننا ندرس في هذا البحث جهود علماء التجويد في قرون مضت ونقرر ما قالوه ونناقشه في ضوء معارفنا الصوتية المعاصرة، تظل أبصارنا تتطلع إلى الأمامترمق المكان الذي ينبغي أن يحتله هذا العلم في المستقبل، والدور الذي يمكن أن يقوم به في دراسة أصوات العربية وفي تعليمها أيضا، ومن ثم يجب أن نركز على الجانب اللغوي في علم التجويد، لأن دراستنا اللغوية وواقع اللغة العربية المنطوق بحاجة إلى معطيات هذا العلم النظرية والتطبيقية، مستفيدين إلى أقصى حد مما حققه علم الأصوات اللغوية في الوقت الحاضر، هذا من غير أن نقطع صلة علم التجويد بنص القرآن الكريم، فقد كانت لتلك الصلة أهميتها في الماضي ويمكن أن تنال ذات الأهمية في الحاضر والمستقبل.

وهناك قضية أخيرة تتصل بهذا المبحث، وهي بيان أثر ارتباط علم التجويد بنص القرآن الكريم على دراسة الأصوات العربية لدى علماء التجويد، وهل كان ذلك الارتباط سببا لتقييد تلك الدراسة أو كان عاملا في إغنائها وديمومتها؟

---

[69] انظر : جهد المقل محمد أبي بكر ص2

[70] انظر : السابق ص3

يعد القرآن الكريم نص لغوي عربي منقطع النظير في سمو فصاحته وبلاغته، يحرص المسلمون على ترتيل كلماته، أي نطقها مبينة مجودة، على نحو ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرتلونها، وكان ذلك النطق هو المثال الذي ظل المسلمون يتلقونه جيلا بعد جيل بالمشافهة والرياضة، وكان ذلك النطق موضوع(علم التجويد) دراسة، وتحليلا، وتعليما، ومن ثم انحصرت أمثلة علماء التجويد وشواهدهم التي يدرسونها في ألفاظ القرآن الكريم بشكل أساسي، بخلاف النحاة الذين استمدوا شواهدهم من القرآن أولا ثم من كلام العرب شعره ونثره ثانيا. لكن علماء التجويد لم يخسروا شيئا حين حصروا اهتمامهم بألفاظ القرآن الكريم، بل أفادهم ذلك من عدة نواح:

أولا: كان هدف علماء التجويد تعليميا بالدرجة الأولى، ويناسب ذلك الهدف حصر الدراسة في ميدان محدد، وهو ما يتحقق في نص القرآن الكريم، فلم ينشغلوا بتتبع وجوه النطق اللهجية وإثقال المتعلمين بها، بل تركوا ذلك لجهود علماء العربية وركزوا جهودهم في ذلك الميدان المحدد، مما سهل عملية التلقي، وتحققت لعلماء التجويد درجة كبيرة في ضبط صورة النطق على نحو لا يفوقه إلا استخدام وسائل التسجيل الصوتي الحديثة، التي يجب أن يستعان بها في خدمة ذلك الجهد المتواصل لعلماء التجويد في المحافظة على صورة النطق العربي الأصيل متمثلا بنطق ألفاظ القرآن الكريم. وحرصا من علماء التجويد على حصر ميدان جهودهم ميزوا موضوع القراءات عن موضوع التجويد، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ثانيا: إن ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد جعل منه علما شعبيا، بالتعبير المعاصر، في المجتمع الإسلامي على اختلاف البلدان والأزمان، يحرص المسلمون على اختلاف مستوياتهم الثقافية والمادية، وعلى تباين ألسنتهم وأجناسهم، على دراسته وتطبيق أحكامه، لأن تلاوة القرآن من أفضل أنواع الذكر عند المسلمين، ومن شروطها أن تكون مرتلة. وقد انعكست تلك الحالة على استمرار التأليف في هذا العلم من غير انقطاع، في مختلف بلاد المسلمين.

ثالثا: ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد أعطاه قوة معنوية تجعل المشتغلين به يقبلون على البحث فيه دون كلل، ويصبرون على متاعب البحث والتعليم حتى يتحقق لدى المتعلم المستوى النطقي المطلوب، ويحتسبون ذلك الجهد عند الله تعالى، وقد أثمرت تلك الجهود التي أعقبت نزول القرآن الكريم، حتى عصرنا الحاضر، ولولا ذلك الارتباط بين اللغة العربية والقرآن، وبالتحديد بين علم التجويد والقرآن لكان حال اللغة العربية اليوم على غير ما هي عليه، وثبات العربية الفصحى المستمر، خلاف كل اللغات الأخرى، لم يتحقق إلا

بفضل تلك العلاقةبين علم التجويد، ممثلا لجوهر النطق العربي الأصيل وبين نص القرآن الكريم. وإن الواقع اليوم ليشهد أنه حيثما أهمل علم التجويد انتكس نطق العربية الفصحى، ولو كان ذلك في قلب بلاد العرب، وحيثما نال هذا العلم العناية الكافية درسا وتطبيقا صفا ذلك النطق وسما، ولو كان ذلك في أطراف آسيا أو في قلب أفريقيا. إنها حقيقة كبيرة، ومهمة في حياتنا اللغوية المعاصرة ولكننا نغفل عنها في كثير من الأحيان.

وهو ما يؤكد عليه علماؤنا في هذا المجال فالطالب الأجنبي الذي يتعلم اللغة العربية من خلال مضامين غير مضامينها بدعوى علمانية اللغة وأن الحداثة العربية تنسلخ عن جذورها يكون قد وقع ضحية المنهج الذي يقدم اللغة بعيدة عن رئتها الطبيعية ومذاقها الخاص بها المتمثل في نسيجها الثقافي الذي لا يضارعه نسيج ؛ إذ أثبتت الدراسات أن المعلومات والمعارف الثقافية هدف أساسي من أهداف أي مادة تعليمية لتعلم لغة أجنبية وأن الطلاب عادة ما يتوقعون دراسة ثقافة اللغة بالقدر نفسه الذي يدرسون به مهاراتها [71] ومن هنا تبرز ضرورة الاتصال بين علم التجويد وعلم اللغة والأصوات والثقافة الإسلامية الأساسية عند تقديم المحتوى اللغوي .

المبحث الثاني

تعليم التجويد للأجانب

مما لاشك فيه أن القرآن الكريم له علاقه وثيقه باللغة العربية، إذ هو المعتمد لدراستها عند أغلب الطلاب الأعاجم، فهم لا يدرسون العربية إذ لا يدرسونها إلا حبا في القرآن ورغبة في فهمه، واتقان قراءته، وعليه فالعلاقة التي تربط القرآن باللغة العربية علاقة أصيلة وثيقة– لا انفصال بها.

ويكفي اللغة العربية شرفا أنها لغة القرآن الكريم الذي لا يتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى:" قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)"[72]. ولغة الحديث الشريف لغة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق باللغة العربية.

على أن هذه الرؤية التي تلمح البعد الوظيفي في تعلم اللغة العربية والقرآن الكريم ، لا تنحصر في التواصل بين بني البشر ، بل يمضي أبو عمرو بن العلاء ليعرض أهمية تعلم اللغة العربية ، وأن تعلمها وإتقانها من الدين حيث يقول: لَعِلم العربية هو الدين بعينه، فبلغ

---

[71] انظر : تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات د رشدي أحمد طعيمة . د محمود كامل الناقة ط المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1407هـ2006م

[72] سورة الاسراء آيه 88

ذلك عبدالله بن المبارك، فقال: صدق؛لأني رأيت النصارى قد عبدوا المسيح لجهلهم بذلك، قال الله– تعالى– في الانجيل: (أنا ولَدتَك من مريم، وانت نَبيي)، فحسبوه يقول: (أنا ولَدتك، وأنت بُنيي) بتخفيف اللم وتقديم الباء وتعويض الضمة بالفتحة فكفروا[73].

ومما لا يدع مجالا للشك أن علماءنا السابقين أوجبوا تعلم العربية وتعرفها على كل مسلم سواء كان عربيا أم أعجميا، بَيد أنهم لم يفرضوا عليه أن يتقن العربية فيسمو إلى أعلى درجاتها من الفصاحة والبيان. قال رجل لأبن خالويه: أريدأن أتعلم العربية ما أقيم به لساني، فقال: " أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو، وما تعلمت ما أقيم به لساني".[74] إذ لم يكن العرب كلهم شعراء كزهير بن أبي سلمى الذي سار شعره في الآفاق أو خطباء، أو كتابا أو على درجة سواء في اتقان اللغة العربية واستعمالها وتذوقها بل تفاوتت درجاتهم واختلفت لحونهم، كما لم يكونوا على درجة واحدة في الشجاعة والكرم وكريم الفعال. ففي جميع لغات العالم صعوبة وليس هناك لغة يتساوى أهلها في استعمالها صحة وفصاحة بل يتقنون اللغة أقل من القليل، ونخبة من النخب.

ولما كانت اللغة العربية لغة الدين الإسلامي القويم كان ذلك دافعا روحيا لكل من يدخل في الإسلام أن يرغب في هذه اللغة ويقبل على تعلمها، ويعد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها مجالا خصبا؛ لسببين أولهما: كثرة الطلب على اللغة من جانب، فقد سجلت الإحصائيات العالمية إقبالا متزايدا على القراءة عن الإسلام، وكذلك إقبالا كبيرا على الدخول في الإسلام من قبل الغربيين بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م وغزو أفغانستان والعراق، وهو ما كان له أكبر الأثر في الطلب المتزايد لتعلم العربية لفهم القرآن والسنة وعلوم الدين.[75] ولقلة الجهود المبذولة في هذا الميدان من جانب آخر، وقد سعت العديد من المؤسسات الرسمية والهيئات التعليمية إلى تقديم شيء في هذا الميدان إلا أن الطلب على اللغة العربية لا يمكن مقارنته بالجهود المبذولة. فمهما قدمت الجامعات في الدول العربية والمنظمات الرسمية من جهد يظل بحاجة إلى المزيد والمزيد.[76]

هناك فرق شاسع بين تعليم قراءة القرآن لأهل العربية وتعليمه لغير أهلها، حيث إن طالب القرآن الذي يتقن العربية يحتاج إلى تعلم أصوات الحروف، ولكنه لابد له من دراسة مخارج الحروف ليتمكن من ضبط قراءته. ونطقها على على الوجه الصحيح، أما الطالب

---

[73] انظر : معجم الأدباء؛ ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1993م

[74] طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة

[75] تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها... الأبعاد السياسية والشرعية، أحمد محمود السيد، مجلة البيان2011/11/23م

[76] انظر : السابق نفسه

الأجنبي إن كان في بداية دراسته فيحتاج إلى معرفة أصوات الحروف وكيفية نطقها على الوجه الصحيح بالإضافة إلى دراسة مخارج الحروف ويقدم هذا له شيئا فشيئا.

وأفضل ما يمكن أن يقدم علم التجويد لهم مع التطبيق المباشر إذ به يكتسب النطق الصحيح لأصوات اللغة ويكون أسرع في التعلم.

والطالب العربي يقدم له كتبا تتكلم عن الصوتيات والأحكام تفصيلا، أما الطالب الأجنبي فيقدم له شيئا مختلفا، فبداية يُلقن حتى يتمكن من اكتساب أصوات اللغة وطريقة نطق كلماتها وينصح باستمرار استماع الطالب وتكراره القرآن، لأن القرآن قد أخذ بطريق التلقي، إذ نقله إلينا الصحابة رضي الله عنهم عن نبينا- عليه الصلاة والسلام- عن رب العزة- تبارك وتعالى- حتى وصل إلينا غضا كما أنزل، فاعتياد الطالب على الاستماع والتكرار بعد معلم لقارئ مجيد والتدرب على تصحيح تلاوته بعده والاستعداد للدرس قبله مما يؤثر كثيرا في سير تعلمه. ويكسبه السرعة والإتقان في الآداء، ويجعل نطقه للكلمات العربية سليما صحيحا لأن علم التجويد هو: علم مراتب الحروف وأصواتها ومخارجها ويمكن للطالب أن يتقنه سماعا ومشافهة أخذا عن معلمه.

أما إذا أراد الطالب دراسة أحكام التجويد وكان مبتدئا: فلا يجب البدء بدراسته النظرية حتى يعرف كيف يقرأ اللغة العربية معرفة جيدة ويقن الفراءة لكلمات القرآن الكريم، ويعرف رسم القرآن الكريم، إذ إن أحكام التجويد فيها ما يكسب الكلمات العربية أصواتا مختلفة عن أصواتها الأصلية المعروفة، فإن تمكن الطالب من القراءة يجعله يميز الجديد في صوت الكلمة وما سببه، ثم بعد ذلك يُعرض عليه علم التجويد حتى يعرف مصطلحاته وأحكام القراءة ويقف على مسميات الأحكام ثم يتدرج بعد ذلك في تعلم..ويمكن هذا كله أن يتم للطالب الأجنبي بلغته، إن لم يكن متقنا لفهم اللغة العربية والتحدث بها ولكنه يتقن القراءة، أو أن يتعلم العربية حتى يصل للمستوى المتوسط منها- على الأقل- ثم يتعلم التجويد بالعربية، ويبقى هدفه لتعلم القرأن مشجعا له ومحفزا لتعلمه للعربية على نحو ما نجد في كتاب نور البيان في معلم القراءة بالقرآن.

وعليه يمكن تعليم القرآن بلغة وسيطة، فمن المعلوم أن دراسة الطالب للعربية تساعده على التخصص في دراسته للقرآن والتوسع في علومه، ولكن يرجع هذا لهدف الطالب وما يريده من تعلمه، فلو كان يريد تعلمه القرآن فقط دون تعلم اللغة العربية فيمكن له أن يدرس علوم القرآن بلغته الأجنبية وإن لم يكن متقنا للغة العربية. فهنا فئة كبيرة من الطلاب الذين يتعلمون القراءة العربية من الناطقين بغيرها من اللغات يتعلمونها لأجل قراءة القرآن الكريم وحده دون تعلم اللغة العربية نفسها طمعا في الثواب والأجر كما جاء في حديث عبدالله بن

مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" – من قرأ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ (الم) حرفٌ ولكنْ (ألفٌ) حرفٌ و(لامٌ) حرفٌ و(ميمٌ) حرفٌ"[77].

يجمع هذا البحث بين الخبرة في الصوتيات ومجال تصميم وبناء النظم على شبكة الإنترنت لإنتاج نظام لتعليم نطق اللغة العربية الصحيحة من خلال عدد من المقاطع الصوتية يبلغ(1297)مقطعا تمثل أهم المقاطع الصوتية في اللغة العربية. وتم إنتاج الصوت الصحيح لهذه المقاطع الصوتية من قبل مجموعة مختارة من أفضل الأساتذة القادرين على النطق الشفهي للغة العربية على نحو فعال. استخدمت هذه المقاطع في تعليم نطق اللغة العربية والقرآن الكريم بصورة صحيحة ثم استخدمت فيما بعد في اختبارات وتقييم قدرات المتعلم على نطق اللغة العربية بشكل صحيح. ويستهدف هذا النظام في الأصل تعليم اللغة العربية وتجويد القرآن الكرين للطلاب غير الناطقين باللغة العربية ولكنه بالطبع يفيد الناطقين بها. وقد تم تفعيل هذا النظام في العديد من المدارس بالولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية وأثبتت التجربة نجاحا ملحوظا كخطوة في دعم تعلم اللغة العربية والقرآن الكريم على نحو سليم دون الحاجة لأي معرفة مسبقة باللغة العربية. والنظام التعليمي متاح مجانا على الشبكات ولا يحتاج لإعدادات مسبقة ولا طلبات خاصة توفر على أجهزة المستخدمين له. وعلى الرغم مما يتوافر في هذا النظام من خدمات متعددة فما يزال هناك الكثير مما نرجو أن نقدمه للدارس الأجنبي والعربي للغة العربية. ونعرض الآليات المستخدمة في هذا النظام وما يمكن أن يقدمه للدارسين من خدمات ويشرح كذلك كيف يمكن تنفيذها مستخدمين أحدث التقنيات.

يقدر عدد سكان العالم من المسلمين بربع سكان العالم تقريبا كما ورد في تقرير سي إن إن. وعلى الرغم من ذلك تعدد من يتحدث اللغة العربية 300 مليون مسلم فقط، وذلك لو أننا أخذنا في الاعتبار اللهجات المحلية وغيرها من اللهجات العربية.[78]

وحقيقة الأمر أن من يتقن اللغة العربية الفصيحة السليمة نطقا وكتابة عدد محدود جدا. وهذا شيئ مؤسف جدا لأنها لغة المجتمعات العربية والدين الإسلامي.

إن عرض اللغة، أية لغة، ليس بالأمر اليسير وإنما يكتنفها، تعلما وتعليما، عدد غير قليل من المشكلات، تتعلق باللغة نفسها، والمعلم والمتعلم. وتعليم العربية للناطقين بغيرها

---

[77] أخرجه الترمزي في جامعة كتاب فصائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن مما له من الأجر ص291 وقال حديث حسن صحيح غريب اسنادا 161/5 وصححه الألباني في تحقيقه مشكاة المصابيح 659/1

[78] انظر : دور وسائل التقنية في تطوير تعليم اللغة العربية . د رضوان الدبسي

لا يخرج عن هذا القانون، ولكن الطفرة التقنية، وتكنولوجيا التعليم التي يشهدها العالم الآن، والتدقيق المعلوماتي في شتى مناحي الحياة، قد ساعد كثيرا على تخطي كثير من هذه المشكلات، من خلال تصميم برامج خاصة لتعليم مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها، واستثمار الوسائط المتعددة في تحقيق أهداف الدرس اللغوي، وجعل تعليم العربية للناطقين بغيرها تعليما ممتعا، ومنتجا في الوقت ذاته، إلا أننا نلاحظ تقصيرا كبيرا في الجهود المبذولة لتوظيف هذا التقدم التقني في ربط متعلمي العربية من الناطقين بغيرها بالقرآن الكريم، معجما، وأصوات، ودلالات، وتراكيب، وصورا، ووجوه استعماله وأساليبه في البيان.

كل هذا كان من أهم الدوافع وراء الجهود التي بذلتها شركة ReadVerseمن خلال استخدام أدوات لتعليم كيفية نطق الكلمات العربية بشكل صحيح، هذه الأدوات والآليات متاحة مجانا لخدمة اللغة العربية والإسلام، ويمكن لأي شخص في العالم ممن يرغبون في تعلم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم؛ الحصول على هذه الأدوات والآليات عن طريق موقع الشركة على الإنترنت لزيادة معرفته باللغة العربية، وتعلم تجويد القرآن الكريم.

وقد قامت الشركة ببناء قاعدة بيانات قوية لتعلم اللغة العربية مبنية على أفصح الكتب؛ كتاب الله المنزل؛ القرآن الكريم. وكما هو الحال مع نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس وتأثيرها على اللغة الإنجليزية فالقرآن كذلك هو خزانة للغة العربية وقد حافظ عليها حية ونابضة على مر العصور.

ودور هذا النظام هو تعليم نطق حروف وكلمات وجمل اللغة العربية لغير الناطقين بها، بل ويمكن أن يفيد الناطقين بها في تعلم النطق كذلك. ويسهل هذا البرنامج تعلم نطق الحرف في جميع مواضعه من الكلمة، كما يسهل النظام تعلم قراءة القرآن الكريم وأحكام التجويد عن طريق عدد من سور القرآن الكريم كما يساعد على محو أمية اللغة العربية.

طريقة تعليم القرآن الكريم.

كما يشير إلى ذلك نصر عبدالمقصود بقوله: فإن علم الأصوات من أهم العلوم المساعدة على ضبط الميزان القرائي للغة العربية عموما وللقرآن الكريم بوجه خاص [79]

لا يمكن للطالب أن يتكلم إلا إذا أتقن مهارة الاستماع، والقدرة على الطلاقة في النطق تعتمد إلى حد كبير،على الاستماع السليم، والتعلم عن طريق الصوت والاستماع نعني به ارتباط كل حرف بصوت خاص به مع الربط بقواعد استخدام الحروف في الكلمات وهذا ما

[79] انظر : الميسر في تعليم الأصوات القرآنية . د نصر سعيد عبدالمقصود حسن ص 4ط2 مكتبة التقوى الحديثة 1442هـ 1442م

يسمى بالطريقة التركيبية. ويتعلم الدارس أصوات الحروف مفردة، وتركيبات الحرف مع غيره من الحروف حتى ينطق الأصوات التي تكون الكلمة.

"وفي هذا الميدان يمكن الاستفادة من القرآن الكريم، –وهو أمر لا تزال كثير من مناهج تعليم العربية غفلا منه– عن طريق تصميم برامج حاسوبية خاصة لتعليم أصوات اللغة العربية للناطقين بغيرها، من خلال الاستماع الجيد للقرآن الكريم والتعود على النطق الأمثل لحروف العربية بأصواتها الصحيحة، وبخاصة الأصوات التي ليس لها نظير في غير العربية، مثل: الظاء والعين والضاد.... ويمكن التغلب على صعوبة نطقها من خلال ربط هذه الأصوات بكلمات في القرآن الكريم، ونطقها بالكيفية التي تمثلها علماء التجويد، والتدرب على الأداء الدقيق للعادات النطقية، كالتفخيم والترقيق، ودرجات المد والشد، ومخارج بعض الأصوات التي اختصت بها العربية، وكذلك التجمعات الصوتية، نحو: النبر والتنغيم والإيقاع وأشكال التغيرات الصوتية من: إدغام وإبدال وتضعيف

يقول الحسن بن أم قاسم المرادي:" إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور: أحدها: معرفة مخارج الحروف. والثاني: معرفة صفاتها. والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام. والرابع: رياضة اللسان بذلك، وكثرة التكرار.

وأصل ذلك كله وأساسه: تلقيه من أولي الإتقان، وأخذه عن العلماء بهذا الشأن، وإن انضاف إلى ذلك حسن الصوت، وجودة الفك، وذرابة اللسان، وصحة الأسنان، كان الكمال وهذا البحث أيضا يستهدف متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها ومن لهم إلمام نوعا ما باللغة العربية.

ولأن هذا النظام يستهدف الشريحة المسلمة والأجنبية التي تريد تعلم القرآن الكريم قراءة وكتابة – ودون أي دراية مسبقة باللغة العربية– كان علينا ابتداع طريقة جديدة لتعليم التجويد دون الحاجة لإعطاء دروس نصية أو سمعية باللغة العربية أو حتى باللغة الإنجليزية وإنما اقتصرت الدروس على تعليم اللغة العربية مباشرة. وقد تم الاعتماد على دروس لتعلم نطق مقاطع صوتية على مستوى الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين. وتتم عملية التعليم بطريقة الاكتشاف Discoveryأي أن الطالب يكتشف بنفسه القاعدة من خلال ما درسه من أمثلة من خلال هذه الدروس بطبيعة الحال لا تعتمد على أي معرفة مسبقة باللغة العربية إلا نت خلال ما يتيحه النظام ويعلمه للدارس. والدروس هنا موزعة بطريقة ذكية وعلمية متسلسلة ومتدرجة تبدأ بالحروف المفردة، ثم الحروف المركبة، ثم الحروف المقطعة، ثم الحروف المتحركة بالفتح والكسر والضم ثم التنوين بصوره ويرسم

فتحتين أو ضمتين أو كسرتين ويتخلل هذه الدروس اختبارات لتحديد مستوى الدارس الطالب واستيعابه.

فلا أحد يجادل اليوم في أن مستقبل لغتنا وثقافتنا، رهين بمدى قدرتنا على التحكم، والاندماج الإيجابي والمنفتح، في العطاءات، بل الفضاءات التقنية والعلمية الحديثة، واستثمار الوسائط المتعددة التي تطورت بسرعة مذهلة، وأصبحت تنجز في ثوان، ما لم ينجز في الماضي في سنوات[80]، زمن ثم نستطيع الاستفادة من التوظيف التقني للقرآن الكريم، في ربط متعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها، بما له من روعة وهيبة تستلب القلوب والعقول معا، من خلال:

أ توظيف القرآن الكريم تقنيا في تعليم أصوات العربية

لكل لغة من لغات البشر نظام صوتي خاص بها، ويعد النطق الجيد للغة الهدف من أصعب عناصر اللغة اكتسابا؛ ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أسباب عضوية، فجهاز النطق وما يحمله من العادات النطقية يتكيف مع اللغة الأم، ويصعب إعادة تكيفه مع ما يخالفها من اللغات؛ لذلك يحتاج هذا الجانب من الأداء اللغوي إلى عناية خاصة، واهتمام مكثف في الميادين التعليمية من الجانبين النظري والتطبيقي، إذ النطق الجيد نتاج سماع جيد، و"السمع أبو الملكات اللسانية" كما يقول ابن خلدون[81] فلا يمكن للطالب أن يتكلم إلا إذا أتقن مهارة الاستماع، والقدرة على الطلاقة في النطق تعتمد إلى حد كبيرعلى الاستماع والقدرة على الطلاقة في النطق تعتمد إلى حد كبير، على الاستماع السليم، وفي هذا الميدان يمكن الاستفادة من القرآن الكريم، – وهو أمر لا تزال كثير من مناهج تعليم العربية غفلا منه– عن طريق تصميم برامج حاسوبية خاصة لتعليم أصوات اللغة العربية للناطقين بغيرها، من خلال الاستماع الجيد للقرآن الكريم والتعود على النطق الأمثل لحروف اللغة العربية بأصواتها الصحيحة، وبخاصة الأصوات التي ليس لها نظير في غير العربية، مثل: الظاء، والضاد، والعين... ويمكن التغلب على صعوبة نطقها من خلال ربط ربط هذه الأصوات بكلمات في القرآن الكريم، ونطقها بالكيفية التي تمثلها علماء التجويد، والتدرب على الأداء الدقيق للعادات النطقية، كالتفخيم والترقيق، ودرجات المد والشد،

---

[80] انظر: دور وسائل التقنية في تطوير تعليم اللغة العربية، د/ رضوان الدبسي وقائع مؤتمر: اللغة العربية أمام تحديات العولمة بيروت2002

[81] مقدمة ابن خلدون، 559/1 ويقول في موضع آخر 526/1 "هذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه"

ومخارج بعض الأصوات التي التي اختصت بها العربية، وكذلك التجمعات الصوتية، نحو: النبر والتنغيم والإيقاع، وأشكال التغيرات الصوتية، من:إدغام، وإبدال، وتضعيف.

فالتسجيلات الصوتية للمقرئين، وتعليم قواعد التجويد، وغيرها قد مكنت من عرض القرآن الكريم وتعليمه بأساليب حديثة عالية التأثير يتوافر اليوم آلاف الساعات من تلاوة القرآن محفوظة على شبكة الإنترنت، ويمكن سماع بعضها مباشرة وإنزال بعضها الآخر من قبل المستخدم إلى جهازه؛ لكي يسمعها متى شاء. ولا شك أن سماع الطلاب، وتدريبهم على النطق السليم للحروف القرآنية، يساعد على تعليمهم النطق الأمثل لأصوات العربية، حتى يصبح نطقا آليا، وهذا أمر يجب اعتباره في تعليم العربية للناطقين بغيرها؛ إذ لا يمكن، بأي حال من الأحوال، اعتبار نطق غير متواضع عليه نطقا مَرضِيا. وهنا يؤدي علم التجويد دورا في غاية الأهمية في المختبر اللغوي، ذلك العلم الذي بلغ منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية، من خلال حديث علمائه عن: أصوات العربية مفردة، وتصنيفها إلى جامدة وذائبة، وصفات كلٍ، ودراستهم لهذه الأصوات متصلة وما يؤديه هذا الاتصال من تأثير وتأثر، وكذلك حديثهم عن : أمراض الكلام، وعيوب النطق، والانحرافات اللهجية، يقول الحسن بن أم قاسم المرادي" إن تجويد القرآن يتوقف على أربعة أمور: أحدها: معرفة مخارج الحروف. والثاني: معرفة صفاتها. والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام. والرابع: رياضة اللسان بذلك، وكثرة التكرار.

وأصل ذلك كله وأساسه: تلقيه من أولي الإتقان، وأخذه عن العلماء بهذا الشأن، وإن انضاف إلى ذلك حسن الصوت، وجودة الفك، وذرابةاللسان، وصحة الأسنان، كان الكمال"[82]. مما يجعل من هذا العلم– إلى حد كبير– قانونا صحيحا يُرجع إليه، وميزانا مستقيما يُعول عليه، في تعليم العربية للناطقين بها وبغيرها؛ ومن ثم جعله علماؤنا من: علوم العربية لأنه يعطي صورة تكون أقرب إلى الدقة في وصف النطق العربي الأصيل، وتمثله، وهو مع ذلك مهمل تماما في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها " وإن الواقع اليوم ليشهد: أنه حيثما أهمل علم التجويد انتكس نطق العربية الفصحى، ولو كان ذلك في قلب بلاد العرب. وحيثما نال هذا العلم العناية الكافية، درسا وطبيقا، صفا ذلك النطق وسما، ولو كان ذلك في أطراف آسيا، أو في قلب إفريقيا. إنها حقيقة كبيرة، ومهمة في حياتنا اللغوية المعاصرة، ولكننا نغفل عنها في كثير من الأحيان[83]".

---

[82] شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، المرادي بدرالدين الحسن بن قاسم . تحقيق د عبدالهادي الفضلي ص 30ط دار القلم بيروت .

[83] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د/غانم قدوري الحمد ، ص80 ط 1دار عمان الأردن 1424هـ 2003م

كما نود الإشارة هنا، إلى ميدان خصب بكر، لم يُطرق بعد، في مجال الدراسات المتعلقة بتعليم العربية للناطقين بغيرها، وهو ميدان "القراءات القرآنية" ومدى الاستفادة منها في تسهيل تعليم العربية للناطقين بغيرها، فهذا فضاء آخر، يمكن توظيفه تقنيا، وبخاصة في مجال الأصوات إذ اختلافات القراءات القرآنية أدائي في غالب الأمر.

ب-إعداد معاجم قرآنية حاسوبية، أحادية اللغة، آلية، ناطقة، ومصورة قدر الإمكان، تتناول:

- قوائم المفردات الأكثر شيوعا في القرآن الكريم.
- قوائم النفردات التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم.
- قوائم المفردات التي تعبر عن القيم الأخلاقية في القرآن الكريم.
- قوائم المصطلحات الدينية في القرآن الكريم.
- قوائم التعابير الاصطلاحية في القرآن الكريم.
- قوائم المتلازمات اللفظية في القرآن الكريم.
- قوائم أمثال القرآن الكريم.
- قوائم العبارات المجازية في القرآن الكريم.

ولعل من المناسب هنا أن نذكر أهم خصائص المعجم القرآني الحاسوبي المطلوب:

1. ترتيب مداخل المعجم ألفبائيا أو جذريا.
2. تنظيم المواد تحت كل مدخل.
3. إيراد اسم الصيغة الصرفية لكل كلمة.
4. نطق كلمة المدخل، والجملة التي تدخل في سياقها، وذلك بالضغط على المدخل، أوعلى الجملة، فيتشكل ملف صوتي يؤدي النطق المطلوب. ويمكن أن يضاف إليه – في بعض المعاجم المتطورة- المعلومات الخاصة بالاستعمال والأسلوب والشواهد، والتغييرات السياقية، والمصاحبات اللفظيفة، وبيان الصورة القرآنية وجمالها.
5. يصاحب المداخل غالبا بعض الصور التي تقرب المعنى من ذهن الطالب، فالنص الذي تصاحبه الرسوم والإيضاحات والأدوات يعطي بعدا جيدا مطلوبا.
6. العناية البالغة بالشكل الكامل للمدخلات وفروعها.
7. في حالة اختلاف النطق مع الكتابة- وهذا أمر ورد في القرآن أحيانا؛ نظرا لختلاف الرسم العثماني شيئا ما مع نظام الكتابة الحديث- يعاد كتابة الكلمة صوتيا بين قوسين.

ويمكن الاستفادة من التحليل الآلي للقرآن الكريم في وضع مجموعة من قواعد البيانات التي تخدم المعاني والدلالة فيه، وتساعد في وضع المعجم الحاسوبي نحو[84]:

- قاعدة بيانات مجموعات الجذور العامة.
- قاعدة بيانات مجموعات الجذور المتسلسة المعنى.
- قاعدة بيانات مجموعات الجذور المتخصصة (الألفاظ الخاصة بالعقيدة الإسلامية).
- قاعدة بيانات أنواع الأفعال من ناحية اللزوم والتعدي.
- قاعدة بيانات تعلق حوف الجر بالأفعال.
- قاعدة بيانات الكلمات المتضادة.
- قاعدة بيانات العبارات التي تشير إلى معنى محدد.
- قاعدة بيانات المعاني المركبة[85]

إجراءات الدراسة:

1. استخدام برنامج يعالج كيفية نطق الحروف العربية في الكلمات القرآنية، وهذا البرنامج يحاول الاستفادة من الوسائل التقنية المعينة، كالرسوم، والصور التي توضح جهاز النطق وأعضاءه، واستخدام المرآة، والحنك الصناعي، وبرامج الحاسوب، وإنشاء المختبر اللغوي(Language Laboratory) بأحدث أنواعة: المختبر السمعي البصري، ومختبر الوسائط الرقمي.
2. استخدام شاشة عرض بلازما(Plasma Display Monitor) وشاشة عرض البيانات، الداتا شو، (LCD Multimedia Projector) وجهاز العرض الصري ثلاثي الأبعاد (Visual Presenter Treedimension)، وذلك لتعظيم الأستفادة من بعض التراكيب القرآنية، وإظهار بعض من وجوهها البيانية، ودقتها التصويرية.
3. إعداد مجموعة من اللوحات الصامتة والمتحركة التي تفسر نصا قرآنيا، بحيث تتضمن مفردات وتراكيب تنمي مهارة المتعلم في ربط الصورة بالمعنى، وتوليد تراكيب ومرادفات لها في سياقات أخرى.

---

[84] انظر: التعامل مع القرآن الكريم في عصر المعلوماتية أ.د/محمد زكي خضر

[85] انظر: التوظيف التقني للقرآن الكريم في تعليم العربية للنطقين بغيرها . د محمد عبدالفتاح الخطيب . د محمد عبداللطيف رجب . ص 24-25

ومن هذ فإن تناول التوظيف التقني للقرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها بالبحث والدراسة، يعد أولوية كبيرة في استراتيجيات درس العربية، تعلما وتعليما، للناطقين بغيرها، وهذا يحتاج إلى إعادة نظر، وقراءة متواصلة في:"الكفاية اللغوية" و"الكفاية التخاطبية" وتحديد كثير من القضايا المعلقة التي من أبرزها غياب المنظور التكنولوجي في الدراسات والأبحاث المتعلقة بتعليم العربية للناطقين بغيرها، ووضع الاستراتيجيات المناسبة لاستثمار التوظيف التقني للقرآن الكريم في هذا الجانب، وهو ما يجب إتاحته بإلحاح، وهذا ما ستحاول هذه الورقة إضاءة تمثل مقاربة أولية في حاجة إلى مزيد بحث، وتداول حر للرأي إن رمنا خدمة لغتنا، وجعل تعليمها تعليما حضاريا، ومرتبطا بكتابها الأول، القرآن الكريم.[86]

كما تؤكد الدراسات على دور الحافز في تعلم اللغات بتقديم العناصر الحضارية بشكل علمي مدروس يعد أمرا بالغ القوة وبدونه تصاب اللغة بالرتابة[87]

إن ربط متعلم العربية من الناطقين بغيرها بمعجم قرآني حاسوبي، ناطق ومصور، وإعداده للتعامل مع النص القرآني، يساعد في تحقيق أهداف الدرس اللغوي، ويجعل تعليم العربية للناطقين بغيرها، تعليما ممتعا، ومنتجا في القت ذاته؛ إذ من السهولة ربط الكلمة فيه بسياقها الطبيعي، وإحضار مشتقاتها، وإدراك سبل استخداماتها، من خلال نطق قرآني فريد ودقيق، يربط الطلاب بروعة وقعه، وحسن بيانه، ودقة تصويره، وهذه ميزة عظيمة توفرها التقانة الحديثة، قصرت عنها المعاجم الورقية، إذ يمكن من خلال هذا البرنامج، أن يستمع المتعلم إلى نطق صحيح دقيق لكلمة المدخل، والجمل التي تدخل في سياقها، وذلك بالضغط على المدخل أو الجملة، ليتشكل ملف صوتي يؤدي إلى المطلوب من: دقة الأحكام، وصرامة الضبط، وصحة النطق.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الطويلة في موضوع استخدام القواعد الصوتية المتطورة لتعليم التجويد للأجانب خرجت بفضل الله–تعالى– ثمرة هذه الدراسة واضحة جلية في عدة نتائج توصل البحث إليها وكان من أهمها:

- أثبتت الدراسة أن التجويد مصدر أصيل من مصادر الدراسة الصوتية العربية ، وهذه نتيجة مبنية على النتائج القيمة التي حققها علماء الجويد في مجال الدراسة الصوتية،

---

(86) انظر : السابق

(87) انظر : الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها ص 333 د حماده إبراهيم . دار الفكر العربي القاهرة 1987م.

والتأكيد على أن في تعليم العربية للناطقين بغيرها سبيلا لنشرها في العالمين،قال تعالى : "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"[88] فهي لسان رسالة رب العالمين للعالمين، ومستودع تراثنا الحضاري، ووعاء فطنتنا، وأن نرى في ذلك رسالة حضارية تقرب الآخر، وسبيلنا إلى احتواء الآخر بسحر العربية، وروعة كتابها الكريم؛ ذلك أن اللغة هي الركيزة الأساس في وسائل الاتصال والبلاغ والإعلام، وأن التعبير بلسان قوم تفكير بعقولهم، وأن الإحاطة بثقافة أمة وفهمها لا يتحقق إلا من خلال لسانها، ولسان العربية الأول هو: القرآن الكريم، وغياب الوعي بذلك يؤدي إلى كارثة حضارية ومعرفية ودينية، والتاريخ خير شاهد.

- أثبتت الدراسة كذلك أن علم التجويد علم لغوي خالص، حيث يقابل ما يسمى –الآن– بعلم الأصوات اللغوية، ولم يتوقف علم التجويد عند حدود القرآن الكريم بل اتسع ليشمل العمل على تعريب دارس العربية من الناطقين بغيرها، وإحاطته بكل ما يقربه من بيئة اللغة التي يتعلمها، وإغراقه في جوها، ومن ثم ترجمة المنهج اللغوي ترجمة علمية في الواقع والسلوك الذاتي للمتعلم، ولا شك أن التوظيف التقني للقرآن الكريم، سيكون له دور كبير في هذا المجال. وبهذا نقرب الآخر منا كأنه منا وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: إن التعرض للغة العرب والتمرس في التعامل مع أساليبها وتأليف كلماتهم وما وعاه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة [89] .
- التطلع إلى مقاربة ما أنجزه الآخرون في تعليم لغاتهم، واستثمار منجزات نظريات التخطيط اللغوي، ومعطيات اللسانيات الاجتماعية التطبيقية، والعلاقة بين اللسانيات والحاسوب، وما انتهى إليه هذا التعالق من بروز اللسانيات الحاسوبية ومعالجة اللغات الطبيعية، والاستفادة الجادة الواعية من الوسائل التقنية المتطورة في هذا المضمار المتسارع حيث يتنافس المتنافسون في توظيف كل تقنيات العصر، ومعطيات العلم لخدمة لغاتهم، حتى اللغات الأكثر تعقيدا بحروفها وابجديتها، ومحدودية تاريخها ومخزونها الحضاري كالصينية واليابانية وحتى العبرية، بعثت من مرقدها، وأصبحت

---

[88] سورة القمر آية 17

1 انظر : مقدمة ابن خلدون 1/ ص559

2 سورة الحجر آية 9

لغة تعبر عما استجد من العلوم والفنون مستفيدة من التطور المذهل في التقنيات الحديثة.

- أثبتت الدراسة أن محافظة اللغة العربية على نظامها الصوتي منذ نزول القرآن الكريم حتى –الآن– يعد من الحالات الفريدة التي يحق للأمة أن تعتز بها، ويعود هذا التفرد والتميز إلى ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم قال الله تعالى:" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(90)
- التخطيط الواعي الذي تحكمه رؤى واضحة بعيدا عن الارتجال، أو التكرار، أو الخلط، أو الصخب أحيانا، وذلك للإفادة من معطيات التقنية الحديثة في إعداد برنامج يوظف القرآن الكريم في تعليم العربية توظيفا، يربط العربية ومتعلمها ربطا وثيقا بكتابها الأول، القرآن الكريم، والإفادة من جهود علمائه.
- إن هذا البحث هو في الواقع بداية لأبحاث أخرى يمكن أن تعني بالدراسات الصوتية عند علماء التجويد، اذ أن علماء كبارا مثل مكي أبي طالب، وأبي عمرو الداني، وعبدالوهاب القرطبي، ومحمد المرعشي، جديرون بأبحاث مستقلة تهتم بكتبهم وتعني بإبراز جهودهم في دراسة الأصوات العربية.
- إن النهوض بالدراسات الصوتية العربية يقتضي عملا مزدوجا يهتم في أحد جوانبه بالدراسات الصوتية العربية القديمة، لاسيما كتب علم التجويد التي ظل معظمها مجهولا لدى الدارسين المحدثين. وبهتم في جانبه الآخر بترجمة نتائج الأبحاث الصوتية الحديثة المكتوبة باللغات الأجنبية، مع الاهتمام باستخدام أجهزة الاختبار الصوتي، ولعل إنشاء مركز للدراسات الصوتية العربية كفيل بالقيام بأعباء ذلك العمل، إن شاء الله
- وبعد فإن الأمر يبقى بعد ذلك كله، في حاجة إلى: النزول إلى الواقع اللغوي، ومواكبته، والانتاج المؤثر، وتطوير خطابنا اللغوي والارتقاء به، وعمل دؤوب ترعاه حكوماتنا العربية والإسلامية، كما ترعاه، جامعاتنا ومجامعنا.

المصادر والمراجع

1-الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية لغير الناطقين بها د/حمادة إبراهيم دار الفكر العربي القاهرة 1987م

2-البحث اللغوي عند العرب، د/أحمد مختار.

3-البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق د/محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الحلبي- القاهرة 1972م.

4-التجديد في الإتقان والتجديد – أبوعمرو الداني، ط مكتبة المحفوظات العربية القاهرة.

5-التعامل مع القرآن الكلايم في عصر المعلوماتية د/محمد زكي خضر.

6-التمهيد في علم التجويد- أبو الخير محمد محمد، ط مكتبة القاهرة 1981م.

7-التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها د/تمام حسان، ط1 أم القرى 1404هـ - 1984م.

8-التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، أبو الحسن علي جعفر- ط مكتبة وهبة مصر.

9-تهذيب اللغة- أبو منصور محمد أحمد تحقيق عبدالسلام هارون، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة 1384هـ - 1964م.

10-التوظيف التقني للقرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها د/ محمد عبدالفتاح الخطيب.د/ محمد عبداللطيف رجب.

11-جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين أبو الحسن علي السخاوي، ط دار الكتب دمشق.

12-الحواشي المفهمة في شرح المقدمة- أبو بكر أحمد محمد.

13-الدر المنثور في التفسير المأثور- عبدالرحمن جلال السيوطي- ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

14-دور وسائل التقنية في تطوير تعليم اللغة العربية- ط مكتبة بيروت 2002م.

15-الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة- مكي بن القيس.

16-سر صناعة الإعراب- أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط الحلبي مصر 1374هـ- 1954م.

17-طبقات المفسرين محمد علي الداودي- تحقيق علي محمد عمر.

18-علم الأصوات بارتيل مالبرج، ترجمة د/ عبدالصبور شاهين.

19-العين- الخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق د/مهدي المخزومي، ط الرسالة 1400هـ- 1900م.

20–غاية النهاية في طبقات القراء– أبو الخير محمد محمد، طمكتبة الخانجي مصر 1351هـ– 1932م.
21–الفهرست– محمد بن النديم– تحقيق رضا حداد، ط دار الشروق بيروت 1971م.
22–الكتاب سيبويه تحقيق عمر عبدالسلام محمد هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
23–الكتاب الأساسي لتعليم العربية للناطقين بلغات أخرى د/محمود كامل الناقة د/ رشدي طعيمة ط1 جامعة أم القرى 1403هـ– 1983م.
24–كتاب السبعة في القراءات – أبو بكر أحمد موسي– تحقيق د/ شوقي ضيف ،ط دار المعارف مصر 1972م.
25–متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية أبوتبر أحمد محمد، ط مكتبة محمد علي صبيح بمصر 1375هـ –1992م.
26–مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود 1413هـ– 1992م.
27–معجم الأدباء ياقوت الحموي تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار الفرب الإسلامي 1993م.
28–المقتضب– أبو العباس محمد يزيد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة لجنة إحياء التراث الإسلامي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة.
29–الموضح لمذهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة أبو عمر وعثمان بن سعيد، ط مكتبة الازهرية بمصر.
30–الميسر في تعليم الأصوات القرآنية د/نصر سعيد عبدالمقصود، ط2 مكتبة التقوى الحديثة 1442هـ– 2021م.
31–النشر في القراءات العشر– أبو الخير محمد بن الجزري، ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
32–همع الهوامع في شرح جمع الجوامع– جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي تحقيق د/ عبدالعال سالم، ط دارالبحوث العلمية 1400هـ–1980م .